

د. أشرف صالح محمد سيد

النهضة العربية الإسلامية
في العصور الوسطى

«دراسات في الإسهامات والانتكاسات»

النهضة العربية الإسلامية
فـي العصــور الـوسطـى

النهضة العربية الإسلامية
في العصور الوسطى

الدكتور
أشرف صالح محمد سيد

الإصدار الأول 2017 م

عدد الصفحات: 176 / القياس: 17 × 24

ISBN: 978-9933-495-00-0

محفوظة جميع الحقوق

صفحات

للدراسات والنشر والتوزيع



سورية - دمشق - ص.ب 3397
هاتف: 095 13 22 11 00963
تلفاكس: 013 33 22 11 00963
موبايل: 818 411 991 00963
info@darsafahat.com
الإمارات العربية المتحدة - دبي
ص.ب: 231422
جوال 942 442 528 00971
Darsafahat.pages@gmail.com

الإشراف العام: يزن يعقوب
www.darsafahat.com
facebook.com/darsafahatyazan

النهضة العربية الإسلامية في العصــور الوسطــى

" دراسات في الإسهامات والانتكاسات "

د. أشرف صالح محمد سيد

أستاذ مساعد تاريخ وتراث العصور الوسطى

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة ابن رشد ـ هولندا



2017

صفحات

المحتويات

"لقد سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين ظلت الأولى حوالي ألفي عام قبل اليونان، وعاشت الثانية طوال أربعة قرون خلال العصور الوسطى، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى في المستقبل القريب أو البعيد "

المستشرق البلجيكي

جورج سارتون (1884 – 1956)

مقدمة الكتاب

يقوم تاريخ العصور الوسطى على عدة ظواهر تاريخية، من أهمها ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، واعتناق العرب الإسلام، والتوسع العربي الإسلامي الكبير منذ القرن السابع الميلادي. حيث خرج العرب المسلمون من شبه الجزيرة وأنشأوا حضارة جديدة هي أبهى حضارات العالم في العصور الوسطى، لها طابعها الخاص، هو طابع الإسلام واللغة العربية، وهذه الحضارة الإسلامية التي بلغت أوج كمالها في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) هي التي جعلت العصور الوسطى عصورًا مضيئة.

فقد حقق المجتمع العربي الإسلامي -بمختلف مكوناته الطبقية والعرقية والدينية- ازدهارًا اقتصاديًا، وقطع أشواطًا متقدمة في الإبداع على كافة المستويات. فحمل العرب والمسلمون في العصور الوسطى منار العلم والثقافة والصناعة طيلة قرون عديدة في الوقت الذي كانت فيه الأمم المعاصرة ترزح تحت نير الجهل والتأخر، وفي الوقت الذي كانت تعقد فيه المناظرات العلمية والفلسفية على مستوى عالٍ في المساجد الإسلامية، وحلقات الدروس ومنازل العلماء والمدارس العديدة، كانت الأمية تسود أوربا كلها.

ومَنْ يغص في أعماق الحضارة العربية الإسلامية وما حققته للبشرية من وسائل التقدم وعوامل الازدهار، ويلم بما ابتدعه الفكر العربي الإسلامي من مفاهيم ونظريات تناولت أهم معضلات ذلك العصر، يدهشه مدى عمق التفكير الذي بلغه العلماء

العرب المسلمون، ويتضاعف اعجابه بهذا الفيض الزاخر من الأفكار العظيمة التي جاد بها الفكر العربي الإسلامي، فلم يحدث في تاريخ الحضارات القديمة والحديثة أن تألق الفكر الحضاري، وبلغ أوج عظمته في فترة قصيرة جدًا من الزمن كالفترة التي ولد فيها الفكر العربي الإسلامي ونما وتطور وأدرك معظم أسرار الحياة، وسبر أغوار المجتمع وأنظمته.

وفي هذا الكتاب مجموعة من الدراسات المتخصصة التي تبرز اسهامات النهضة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، ثم ما حدث لها من انتكاسات داخلية وخارجية أصابتها في مقتل، حيث يجد القارئ استعراضًا لجوانب تألق الحضارة الإسلامية مع الوقوف على أبرز مظاهرها الفكرية في انتشار المكتبات الشخصية في الأندلس. بالإضافة إلى بحوثًا عن علماء هذه الحضارة الذين أضاءوا جنبات العالم، تناولت القيادة الإدارية في فكر الفارابي، والمنهج العلمي عند البيروني، وصولاً إلى الانتكاسات متمثلة في الغزو المغولي كصفحة دموية في تاريخ الحضارة الإسلامية، وانتهاءً بالتراث العربي المخطوط الضائع.

ويسعدني بعد أن انتهيت من هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه، أن أقدم امتناني وتقديري إلى سعادة الأستاذ/ يزن داوود يعقوب، على جهوده المبذولة في دعم الأساتذة والباحثين العرب، ونشر إنتاجهم الفكري عبر منارته العلمية دار صفحات للنشر والتوزيع.

د. أشرف صالح محمد سيد[1]
مصر الجديدة – القاهرة
شُبَاط 2016

1- Email: ashraf-salih@hotmail.com

حضارة متألقة في العصور الوسطى

"لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسمًا عربيًا، ولا يستطيع عالم طبيعي أن يُحلّل ورقة من الشجر، أو يفحص صخرة من الصخور، دون أن يذكر درسًا عربيًا، ولا يقدر أي قاض أن يبتّ اليوم في خلاف دون أن يستدعي مبدأ أملته العرب، ولا يسع أي طبيب أن يتأمل دائرة أحد الأمراض المعروفة منذ القدم إلا أن يهمس بآراء طبيب عربي"

المستشرق سبنسر فاميري

مقدمة

لقد قدمت الحضارة الإسلامية نموذجًا رائعًا للوحدة والتنوع في إثمارها الحضاري، حيث هضمت فنون الأمم السابقة، وأعادت تمثيلها بعد تشذيبها وتهذيبها، وتصحيح اعوجاجها، وإكمال نقصها ومن ثَمَّ إخراجها في حلة قشيبة، وكل ذلك في ظل عقلية تؤمن بالتكامل المعرفي للبشرية ومبدأ الأخذ والعطاء، عقلية تبغض التقليد وتمجد التجديد، عقلية ترفض الإلغاء والإقصاء، والعصبية المقيتة، والإقليمية الضيقة. وبينما كان العالم الإسلامي يموج حضارة وتمدنًا خلال عصور الخلافة الراشدة والأموية والعباسية والعثمانية كانت أوروبا تعيش في أتون الجهل والهمجية والبربرية والرق والعبودية. وهذه حقيقة لا ننكرها بل نقرها، فعلماء المسلمين في كل مشاربهم إبان عصور حضارتنا الإسلامية التي غبرت لم يخلفوا لنا سوي أمجادهم وكتبهم وتراثهم الذي نهلت منه كل الروافد المعرفية العالمية، لأنه كان ثبتًا اتسم بالمصداقية البحثية مما جعلهم مشاعل التنوير ودعاة الاستنارة ومجددين ومبدعين للعلم، فظلت حضارتهم تروي الإنسانية عبر القرون الوسطي حيث كانت الهمجية تسود أوروبا. [1]

الحضارة هي الجهد الذي يُقدَّم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معًا، فالثقافة هي التقدم في الأفكار النظرية مثل القانون والسياسة والاجتماع والأخلاق وغيرها، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيرًا سليمًا، أما المدنية فهي التقدم والرقى في العلوم التي تقوم على التجربة والملاحظة

1- أشرف صالح محمد، "حضارتنا المتألقة في العصور الوسطى".- مجلة الوعي الإسلامي (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) الكويت.- ع581 محرم 1435هـ (نوفمبر- ديسمبر) 2013. ص42.

مثل الطب والهندسة والزراعة، وغيرها. وقد سميت بالمدنيَّة؛ لأنها ترتبط بالمدينة، وتحقق استقرار الناس فيها عن طريق امتلاك وسائل هذا الاستقرار، فالمدنية تهدف إلى سيطرة الإنسان على الكون من حوله، وإخضاع ظروف البيئة للإنسان. [1]ولابد للإنسان من الثقافة والمدنية معًا؛ لكي يستقيم فكر الأفراد وسلوكياتهم، وتتحسن حياتهم، لذلك فإن الدولة التي تهتم بالتقدم المادي على حساب التقدم في مجال القيم والأخلاق، دولة مدنيَّة، وليست متحضرة؛ ومن هنا فإن تقدم الدول الغربية في العصر الحديث يعد مدنية وليس حضارة؛ لأن الغرب اهتم بالتقدم المادي على حساب القيم والمبادئ والأخلاق، أما الإسلام الذي كرَّم الإنسان وأعلى من شأنه، فقد جاء بحضارة سامية، تسهم في تيسير حياة الإنسان.

1 ـ سمات الحضارة الإسلامية

لقد وُصف المسلمون في العصور الوسطى بأنهم بالفعل أصحاب أعظم حضارة، والسبب في هذا أن الحضارة الإسلامية كانت عالمية المنبع والمصب، فقد استفاد المسلمون من تراث الأمم السابقة في صورة التراث اليوناني والفارسي والهندي وخاصةً اليوناني ولم يجدوا مشكلة تعوقهم في ترجمة هذا التراث نظرًا لازدهار العالم الإسلامي من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية.

فقد تألقت الحضارة بسبب اقتصادي، حيث وضع المسلمون أيديهم على منافذ خطوط التجارة العالمية وسيطروا على مناطق من البحر المتوسط حتى سور الصين العظيم، والشمال الأفريقي وجنوب غرب أوربا في صورة شبه جزيرة أيبيريا، وكذلك

1- الحضارة الإسلامية، ضمن موسوعة الأسرة المسلمة على شبكة الإنترنت:
(http://islam.aljayyash.net/encyclopedia)

جزر البحر المتوسط، حيث نمت تجارة المسافات البعيدة حتى أنه لقد صُدرت البضائع من خراسان بعيدًا إلى مصر وشمالي أفريقيا. وبذلك سارت في أيديهم أموال سائلة ضخمة لتمويل مشاريع الترجمة والتشييد والبناء، ومن حسن حظ المسلمين أنهم سيطروا على مراكز التراث القديم في الهند وفارس ومصر فكانت حضارتهم متألقة.

يذكر أن الحضارة الإسلامية كانت ذات بعد إنساني واضح كما اتسمت بطابع التسامح ولم تعرف التعصب، فقد أشار كلود كاهن Claude Cahen (1909 – 1991)[1] إلى أن روح التسامح تلك لم تشهدها الحضارات العالمية قديمًا أو حديثًا. ويكفي أن عظماء الأطباء كان منهم المسيحيون واليهود ومثال ذلك "حنين بن اسحق" (194 – 260هـ/ 810 – 873م) [2] الذي أجاد اليونانية والسريانية والعربية، وأيضًا "موسى بن ميمون" (1135 – 1204م)[3] وهو طبيب يهودي بارع وواحد من سبعة أطباء كانوا شخصيين للسلطان الأيوبي صلاح الدين (1138 – 1193م). وبذلك التقى الإسلام

1- مستشرق ومؤرخ فرنسي ماركسي تخصص في التاريخ الاجتماعي والدراسات الإسلامية في فترة العصور الوسطى والمصادر التاريخية الإسلامية في العصور الوسطى.

2- لقد كان لـ"حنين بن اسحاق" مساهمات فعالة في حركة الترجمة العربية للمؤلفات الفلسفية والعلمية عن اليونانية، بخاصة، في بغداد في العصر العباسي في القرن التاسع من التقويم الميلادي. وقد مثل حنين بن اسحاق مدرسة خصصت لها الباحثة مريم كار كتاب ضمّ دراسة حول الغاية منها، ووضع هذه المدرسة ونشاطاتها في إطار الحركة التاريخية للترجمة، حيث تظهر الباحثة كيف استطاعت الحضارة العربية والإسلامية أن تساهم في عملية الترجمة ليس على مستوى النصوص المترجمة فقط، بل على العلوم ككل. راجع: مريم سلامة كار، الترجمة في العصر العباسي: مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة/ ترجمة نجيب غزاوي.- ط1.- الأردن: منشورات وزارة الثقافة، 1998. (سلسلة دراسات أدبية عربية، 104 صفحة)

David W. Tschanz, “Hunayn bin Ishaq: The Great Translator”.- Journal of the International Society for the History of Islamic Medicine (2003): 39 - 40.

3- Fred Rosner, "The Life of Moses Maimonides, a Prominent Medieval Physician".- The Einstein Journal of Biology and Medicine.- volume (19), No (3).-New York: Einstein College of Medicine of Yeshiva University, 2002.P. 125-128.

والمسيحية واليهودية في حضن حضارة واحدة عالمية قامت بمشروع حضاري في العصور الوسطى عجزت أوربا عن القيام به، وإنما قامت بمشروع متعصب في صورة الحروب الصليبية.

2 ـ مدن تاريخية ومتحفية

كان ازدهار الحضارة الإسلامية من خلال ازدهار المدن كالكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة والفسطاط والعسكر والقطائع والقيروان وفاس ومراكش والمهدية والجزائر وغيرها، وقد انعكس هذا الازدهار على المناطق الريفية. كما خلفت الحضارة الإسلامية مدنًا متحفية تعبر عن العمارة الإسلامية كإستانبول بمساجدها، والقاهرة بعمائرها الإسلامية، وبخاري، وسمرقند، ودلهي، وحيدر أباد، وقندهار، وبلخ، وترمذ، وغزنة، وبوزجان، وطليطلة، وقرطبة، وإشبيلية، ومرسية، وسراييفو، وأصفهان، وتبريز، ونيقيا، وغيرها من المدن الإسلامية.[1] وكانت هذه المراكز في تناقض واضح بالمقارنة بالمدن البائسة للعصور المظلمة في أوربا، وخصوصًا بين القرنين الخامس إلي العاشر الميلاديين، حيث أصيبت حضارة الغرب بالانحطاط في مختلف المجالات، ولم يبق من معارف الإغريق والرومان التي ازدهرت في أوربا سوى القليل محصورًا بين الأديرة والكاتدرائيات وبلاطات الحكام، وتميزت العصور المظلمة بتفشي الجهل والتزمت الديني الشديد وتعاظم دور الكنيسة في مختلف مجالات الحياة.

1- أحمد محمد عوف، مقال بعنوان: "عبقرية الحضارة الإسلامية".- ويكي الكتب: (http://ar.wikibooks.org)

3ـ حركة الترجمة

لقد كانت الترجمة هي أولى مراحل الحركة العلمية الإسلامية، وبداية التأريخ للعلوم في الحضارة العربية. وقد بدأت الترجمة بداية منظمة منذ بداية الدولة الأموية؛[1] فقد عمل الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية (ت. 85 هـ) على نقل بعض الكتب في الطب والكيمياء إلى العربية. وقد استمر في الحكم ثلاثة شهور ثم تخلى عن الخلافة لينصرف إلى العلم، وقد درس بعض المستشرقين جهوده وتوصلوا إلى أنه أسهم في تاريخ العلم. [2]

وكانت الترجمة من أهم الأنشطة العلمية طوال العصر العباسي، لاسيما في عهود أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون، وظهر في تلك الفترة مترجمون روَّاد حملوا على عاتقهم عبء نقل التراث الإنساني الموجود آنذاك إلى اللغة العربية التي كانت لغة العلم في ذلك العصر، مما حدَا بالعلامة "البيروني" إلى القول: "إن الهجاء بالعربية أحب إليَّ من المدح بالفارسية".[3]

ومن روَّاد الترجمة حُنين بن إسحاق وأولاده، ويوحنا بن ماسويه، وقسطا بن لوقا البعلبكي، وحبيش بن الحسن الدمشقي، واصطفن بن بسيل. ويذكر هنا أن

1- لم يؤدِّ الأمويون دورًا كبيرًا في حركة الترجمة، بل كان دورهم ثانويًا إبان الفتوحات الإسلامية لأنهم كانوا حريصين على حماية الثغور وفتح البلدان وتأمين الدولة الجديدة. وبخلاف الدور الذي أداه خالد ظهر في هذا العصر الطبيب ما سرجويه، وكان ينقل من السريانية إلى العربية.

2- Wijdan Ali, The Arab Contribution to Islamic Art: From the Seventh to the Fifteenth Century.- Cairo: American University in Cairo Press, 1999. p. 24. David W. Tschanz, "A Short History of Islamic Pharmacy".- available in 25 June 2010 at: (http://www.ishim.net/ishimj/3/03.pdf)

3- أشرف صالح محمد، الآثار الباقية عن البيروني.- ط1.- القاهرة: دار النشر الإلكتروني كتب عربية، 2007. ص 14. الموسوعة العربية العالمية.- ط2.- الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر 1999، ص431.

العباسيين لم يتعصبوا للإسلام على نحو يجعلهم يتجنبوا التعامل مع علماء الديانات الأخرى، والدليل على التسامح حينذاك أن حركة الترجمة قامت على أكتاف العناصر المسيحية التي حققت إنجازًا غير مسبوق، وفي حالة تعصب العباسيين لرفضت هذه العناصر المساهمة في بناء الحضارة العربية الإسلامية.

ولم يقتصر دور العرب على الترجمة والنقل الأمين وحفظ العلوم من الضياع فقط، بل وقفوا موقف الدارس والشارح والمؤلف، فشرحوا الغامض وصححوا الأخطاء وأدخلوا الكثير من التعديلات والإضافات والتعليقات على أعمال الأقدمين. ولذلك فإن الحضارة الإسلامية تسمى "حضارة الجسر أو المعبر" لأنها حملت التراث الكلاسيكي اليوناني وتراث الهند وإيران إلى أوربا، فكان التراث الإسلامي العامل الرئيس لبدء عصر النهضة الأوربية، وهذا ما اتفق عليه الكثير من مؤرخي العلم، فانتقال التراث الإسلامي- وخاصة العلوم والمعارف- إلى غرب أوربا خلال العصور الوسطى كان العامل الرئيسي لبدء عصر النهضة في أوربا وانتقالها من عصر الظلمات إلى عصر البحث والكشف العلمي.[1]

4 ـ صناعة الورق الإسلامية

الورق المعروف حاليًا يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، ففي سنة 105 بعد الميلاد صنع الصيني "تسي آي لون" ورقًا من لحاء الشجر وشباك الأسماك. ثم توصل الصينيون إلى صنع الورق من عجائن لباب الشجر، فحلت بذلك مكان الحرير غالي الثمن، والغاب ثقيل الوزن اللذين قنع بهما الصينيون زمنًا طويلاً. وبعد ذلك

1- عبد الفتاح مصطفى غنيمة، الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في نشأة مدارس الترجمة العالمية.- ط1.- القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 2007. ص86.

طور الصينيون هذه الصنعة باستخدام مادة ماسكة من الغراء أو الجيلاتين مخلوطة بعجينة نشوية ليقووا بها الألياف ويجعلوا الورق سريع الامتصاص للحبر.

ولكن الورق الصيني كان محدود الانتشار ولم يذع خبره في العالم القديم أو الوسيط حتى القرن الثامن الميلادي، حين عرف العرب أسرار صناعة الورق الصيني بعد فتح سمرقند سنة (93هـ/ 712م). [1]وأسس أول مصنع للورق في بغداد سنة (178هـ/ 794م). وأسسه الفضل بن يحيى البرمكي في عصر هارون الرشيد (786-809م). ثم انتشرت صناعة الورق بسرعة فائقة في كل أنحاء العالم الإسلامي، فدخلت سوريا ومصر وشمال أفريقيا وإسبانيا، وكان الناس يكتبون حتى ذلك الوقت على الرق والعسب واللخاف، ثم أمر هارون الرشيد، بعد أن كثر الورق، ألا يكتب الناس إلا في الكاغد (الورق الكتاني).

ويعتبر هذا الأمر إنجازًا كبيرًا لأن المسلمين في ظل حضارتهم المزدهرة في العصور الوسطى كانوا أكثر أمة استهلاكًا للورق، حيث انتشرت في أسواقهم دكاكين الوراقين، وكان أفضل أنواع الورق الصحف الدمشقية.

5 ـ المنهج التجريبي

لقد قام العلم الإسلامي على أساس من الملاحظة والتجربة، فالمسلمين أول مَن تحدث عن المنهج التجريبي في العلوم في العصور الوسطى في وقت كانت فيه أوربا لا تدري من أمرها شيئًا. وهو منهج مخالف تمامًا لما كان عليه اليونانيون أو الهنود أو غيرهم؛ فهذه الحضارات كانت تكتفي في كثير من الأحيان بافتراض

1- أحمد عبد الحميد عبد الحق، صناعة الورق والأدوات الكتابية عند المسلمين الأوائل.- موقع التاريخ، متاح في ديسمبر 2009 على الرابط: (www.altareekh.com).

النظريات دون محاولة إثباتها عمليًّا، فكانت في أغلبها فلسفات نظريَّة، لا تطبيق لها في الكثير من الأحايين، حتى وإن كانت صحيحة، وكان يؤدِّي هذا إلى الخلط الشديد بين النظريات الصحيحة والباطلة، إلا أن جاء المسلمون فابتكروا الأسلوب التجريبي في تناولهم للمعطيات العلمية والكونية من حولهم، وهو ما أدَّى إلى تأسيس قواعد المنهج العلمي التجريبي، الذي ما زال العلم المعاصر يسير على هَدْيِه.

ومن العلماء المسلمين الذين كان لهم باع طويل في هذا المجال جابر بن حيان (ت. 803م)، والخوارزمي (ت. 840م)، والرازي (864 – 930م)، والحسن بن الهيثم (965 – 1040م)، وابن النفيس (1213 – 1288م)، وغيرهم كثير.[1] وهناك بعض العلماء وضعوا كتب في الرحلة فحرصوا على أمر المعاينة والمشاهدة ومثال ذلك الطبيب والرحالة العراقي عبد اللطيف البغدادي في كتابه "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأمر مصر"، ومعنى هذا أن البغدادي اتخذ من المعاينة وسيلة لتجربة الرحلة، لذا من حق المسلمين أن يفخروا بأنهم أوجدوا المنهج التجريبي قبل فرانسيس بيكون Francis Bacon (1561 – 1626م) وغيره من علماء الغرب.

في الواقع؛ لقد كان للنهضة الفكرية الإسلامية أثر ملحوظ في تطور العلوم الإنسانية والتطبيقية للأمم المجاورة التي نقل إليها هذا التراث، في حين انحصر التراث العربي الإسلامي في موطنه بين القراءات النقدية التحليلية لإشراقية الماضي وانضواء معظم دارسيه تحت جاهزية المعطيات العلمية والفكرية، بالرغم مما يحتويه هذا التراث من زوايا علمية تفرد بها

1- راغب السرجاني، المنهج التجريبي في الحضارة الإسلامية.- قصة الإسلام.- مايو 2010 متاح على الرابط: (www.islamstory.com). وعن هؤلاء العلماء انظر: أعلام ومفكرون: لمحات عن مشاهير العلماء والمفكرين في عصور الإسلام الذهبية/ تحرير حكيم محمد سعيد.- ط2.- عمان: الأكاديمية الإسلامية للعلوم، 2000. ص 25، 28، 41، 59.

دون تـراث الأمـم الأخـرى، لاسـيما مـا يملكـه مـن تنـوع وخصوبـة منهجيـة ونقدية، وكان من بين هذه العلوم:

6 ـ علم النفس

علم النفس من العلوم التي كان للمفكرين العرب دور في إبداعها وتدوينها بشكل مميز لا يخلو من الجدلية والمعاصرة الملائمة لروحية العصور المختلفة، وقد أدرج ضمن الدراسات الفلسفية والحكمة والطب حيث لم يكتسب استقلاله العلمي التخصصي بل ظهر كجزء مكمل للأبحاث الكلامية والطبية الموسعة التي قام بها الفلاسفة العرب. [1]

كذلك بوب العلماء المسلمون النفس ضمن مصنفاتهم الفلسفية الشاملة بعد أن ملئت شروحًا وانتقادًا على ما هي عليه في اليونانية ثم أفرد بعضهم لها فصولا في المؤلفات الطبية كأبي بكر الرازي (251 هـ – 313 هـ) [2] وابن سينا (370 هـ – 428 هـ) وعليه أصبح للنفس منحًا نظريًا في المؤلفات الفلسفية، في حين أخذت طابعًا آخرًا في المؤلفات الطبية التي لا تهمل الارتكازات النظرية التي دونها الفلاسفة وأصبحت النفس مبحث علم الأخلاق فأبو بكر الرازي الطبيب الفيلسوف كان يؤمن "بمعالجة النفوس كما تعالج الأجسام لما لها من تأثير في صحة ومرض الأجسام ويرى أن يكون طبيب الجسم في الوقت نفسه عالمًا بطب النفوس". [3]

1- أشرف صالح محمد، "حضارة متألقة في العصور الوسطى".- مجلة الزيتونة (تونس).- أكتوبر 2010.
2- أطلق الدارسون القدامى على الرازي لقب "جالينوس العرب" على حد تعبير صاحب كتاب طبقات الأطباء أبن أبي ربيعة، ووصفه كذلك بطبيب المسلمين، كما ذكر صاعد الأندلسي صاحب كتاب طبقات الأمم ووصفه ابن النديم صاحب الفهرست بأنه أوحد دهره. انظر: محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين.- ط1.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993. ص 133 – 135.
3- شريف هزاع، "علم النفس في التراث الإسلامي".- مجلة الجسرة الثقافية.- العدد الخامس عشر.- قطر، 2003.

يعتبر كتاب "الطب الروحاني" لأبي بكر الرازي والذي يسمى بكتاب "طب النفوس" أهم المصادر التراثية لعلم النفس حيث أفرده لدراسة النفس من منظور تخصصي، يتكون الكتاب من عشرين فصلاً ورغم صغر حجمه فقد دون فيه الكثير من المعلومات النفسية فعرف فيه ماهيّة النفس والانفعال، الكآبة، الجنس، الإدمان، العادة، وحتى عقدة النقص.

كما أدلى الفقيه الأندلسي ابن حزم بدلوه في هذا الشأن، حيث تناول في كتابه "طوق الحمامة في الألفة والأُلاف" عاطفة الحب الإنسانية بالبحث والدَّرس على قاعدة تعتمد على شيء من التحليل النفسي من خلال الملاحظة والتجربة، فيعالج ابن حزم في أسلوب قصصي هذه العاطفة من منظور إنساني تحليلي. والكتاب يحتوي على مجموعة من أخبار وأشعار وقصص المحبين، وقد صف بأنه أدق ما كتب العرب في دراسة الحب ومظاهره وأسبابه،[1] وقيل أنه توصل لأفكار تفوق ما توصل إليه عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد (1856 – 1939م).

7 ـ علم الصوت

اهتم الفلاسفة العرب بالبحث في الصوت، وألموا بالمعلومات الأساسية فيه، ولهم تصانيف في الموسيقى ضمنوها مباحث في منشأ الأصوات، وكيفية انتقالها واختلاف بعضها عن بعض، وتناولوا كذلك بالبحث موضوعات يتناولها الآن علم الأصوات الحديث.

1- محمد أبو زهرة، "الفقيه الذي عالج الحب في رسالته الشهيرة طوق الحمامة".- مجلة العربي.- العدد (57) ربيع أول1383هـ.- الكويت، أغسطس196. ص-24 28.

فقد ذكر إخوان الصفا[1] (القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي) في رسائلهم موجزًا شاملاً في علم الأصوات وعلم الموسيقى، وضمنوا هذه الرسائل خلاصة للآراء التي سبقتهم منذ عهد فيثاغورث (ت. 503 ق.م). عرَّفوا الصوت بأنه "قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجرام، وذلك لأن الهواء لشدة لطافته، وسرعة حركة أجزائه، يتخلل الأجسام كلها، فإذا صدم جسم جسمًا آخر، انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموَّج إلى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروي، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزَّجَّاج (صانع الزجاج) فيها، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يسكن ويضمحل".

وقد قسموا الأصوات إلى أنواع منها الجهير، والخفيف و الحاد والغليظ، وعزوا ذلك إلى طبيعة الأجسام التي تصدر عنها هذه الأصوات، وإلى قوة تموج الأصوات بسببها. وفي اهتزاز الأوتار الصوتية وقفوا علي العلاقة الكائنة بين طول الوتر وغلظه وقوة شدّه أو توتره، وهذه التقسيمات التي صنفوا إليها الأصوات، تتفق وتقسيم الأصوات في العلم الحديث من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة.

كما عللوا الصدى بأنه يحدث نتيجة لانعكاس الهواء المتموج من مصادمة جسم عال كحائط أو جبل أو نحوهما. وقد شرح الجلدكي، عز الدين أيدمر علي (ت743هـ) هذه الظاهرة شرحًا كيفيًا وليس قياسيًا؛ فيقول في كتاب "البرهان في أسرار الميزان: "ليس المراد منه حركة انتقالية من ماء أو هواء واحد بعينه بل هو أمر يحدث بصدم بعد صدم وسكون بعد سكون... والصدى يحدث عن انعكاس الهواء

1- جماعة سرية من المفكرين عاشت في البصرة بالعراق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري. وكان لها فرع في بغداد. سماها مؤسسوها إخوان الصفا وخلان الوفا. ويرى كثير من الدارسين أن هذه الجماعة باطنية إسماعيلية عملت على إشاعة مذهبها المتطرف وتثبيت أركان الدولة الفاطمية. انظر: محمود إسماعيل، إخوان الصفا: رواد التنوير في الفكر العربي.- ط1.- المنصورة: عامر للطباعة والنشر، 1996. ص 21 - 52.

المتموج من مصادمة جسم عالٍ كجبل أو حائط، ويجوز ألا يقع الشعور بالانعكاس لقرب المسافة فلا يحس بتفاوت زماني الصوت وعكسه...".[1]

ولعل أفضل عمل وصل من الفلاسفة العرب في الأصوات، رسالة لابن سينا (371 - 428هـ) بعنوان "أسباب حدوث الحروف"، وقد قسّمها إلى ستة فصول؛ الأول في سبب حدوث الصوت، والثاني في سبب حدوث الحروف، والثالث في تشريح الحنجرة واللسان، والرابع في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب، والخامس في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب، والسادس في أن هذه الحروف من أي الحركات غير المنطقية قد تُسمع. والصوت عند ابن سينا ينتج عن تموج الهواء دفعة وبقوة وسرعة، وسبب التموج عنده ما يسميه بالقرع والقلع؛ أي ما نسميه الآن بالتضاغط والتخلخل.

وقد وضع أحد الباحثين دراسة حديثة[2] سجل فيها ريادة العرب في مجال علم الصوت، حيث عقد دراسة مقارنة بين نظرية الفونيم التي جاء بها العالم اللغوي الإنكليزي دانيال جونز في القرن العشرين وبين نظرية الأصول والفروع في الأصوات عند ابن جني. وبعد عرض أصول النظريتين توصل عبر التحليل العلمي الصوتي لهما ريادة ابن جني في اكتشاف أصول نظرية الفونيم وتفاصيلها الدقيقة قبل دانيال جونز بقرون عديدة، كما تكشف الدراسة سبق الخليل بن أحمد الفراهيدي في بحث فيزيائية الصوت قبل علماء أوروبا معتمدًا على حسه الصوتي المرهف وقدرته السمعية في تحليل الصوت.

1- الموسوعة العربية العالمية/ رئيس التحرير أحمد مهدي الشويخات.- الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 2004. (الإصدار الرقمي)

2- راجع: قاسم البريسم، علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة.- ط1.- بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2005. (238 صفحة)

8 ـ علم الحيوان

علم الحيوان هو الفرع الثاني من فروع علم الحياة أو التاريخ الطبيعي، وهو علم يبحث في أحوال وخواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها. وموضوعه هو: جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر، وغير ذلك. والغرض منه: التداوي والانتفاع بالحيوانات، واجتناب مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها. [1]

كان اهتمام العرب بالحيوان وعنايتهم به، أمرًا طبيعيًا جُبِلوا عليه، خاصة أن المستأنس منها كان يمثل جزءًا لا يتجزأ من حياتهم بدوًا وحضرًا. فكانت الخيل والإبل والكلاب والشاء وغيرها عماد الحياة الاقتصادية والاجتماعية والجمالية لديهم؛ لذا عندما بدأت نهضتهم إبان العصر العباسي، أضافوا إلى الأدب الملفوظ المحفوظ أدبيات صنفوها في كل نوع من أنواع الحيوان أليفه ووحشيه ووصفوها وصفًا دقيقًا، وبيَّنوا صفاتها وأشكالها وطبائعها وأسماءها وأسماء أصواتها.

ومن أشهر الذين ألّفوا عن الحيوان النضر بن شميل (ت 204هـ/ 820م). ومن آثاره كتاب الصفات في اللغة الذي يتكون من خمسة أجزاء، خصص الجزء الثالث منه للإبل. كما تناول الغنم والطير وخلق الفرس من بين ما تناول في الجزأين الرابع والخامس. وكذلك أبو زياد بن عبدالله الكلابي (ت. نحو سنة 200هـ/ 815م) وله كتاب الإبل. وهشام الكلبي (ت204هـ/ 819م) ومن تصانيفه أنساب الخيل، وأبو عبيدة التَّيمي (ت207هـ/ 823م) ومن مؤلفاته في الحيوان: كتاب الفرس؛ كتاب الإبل؛ كتاب الحيات؛ كتاب أسماء الخيل؛ كتاب البازي.

1- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم/ تحقيق عبد الجبار الزكار.- ط1.- دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1978. (ج2، ص259)

والأصمعي (ت214هـ/ 829م) ومن مصنفاته: خلق الفرس؛ الخيل؛ الإبل؛ الشاء؛ كتاب الوحوش. وابن السكيت (ت. 243هـ/ 857م)، ومن تصانيفه: كتاب الوحوش؛ كتاب الحشرات؛ كتاب الإبل. والدينوري (ت. 282هـ/ 895م) وله كتاب الخيل.[1]

ومن المسائل التي سبق إليها العرب أثر البيئة في الحيوانات، فيورد الجاحظ (ت. 255هـ/ 869م) عددًا غير قليل من الإشارات العلمية التي توضح فهمه لهذا الأمر، وهو أول من أشار إلى أثر الهجرة والمحيط في التغيرات التي تطرأ على حياة الحيوان فبعضها يغيّر لونه أو سلوكه.

على الرغم من أن إسهام العرب في حقل الحيوان لم يكن واضحًا مثل إسهامهم في بقية العلوم، إلا أن لهم آراء سبقوا بها أفكار بعض المُحْدَثين؛ فعلى سبيل المثال تنسب نظرية التكافل أو المشاركة الحيوانية للفيلسوف الألماني جوته (1749 – 1832م)، وقد أخذ ذلك من عبارته الشهيرة في فاوست "إن روحيْن يسكنان صدري". إلا أننا نجد إشارات واضحة لدى كل من الجاحظ والقزويني (605 – 682هـ) والدّميري (742 – 808هـ) لهذه النظرية التي مفادها أن بعض الحيوانات التي تعيش في بيئة مكانية واحدة، قد يربط بينها نوع من المصلحة المشتركة؛ لذا تنشأ بينها مودة كأن يحط طائر البقر فوق البقرة ليلتقط منها الهوام، أو كأن ينظف طائر التمساح أسنان التمساح مما علق بها من بقايا اللحوم.[2]

1- الموسوعة العربية العالمية (الإصدار الرقمي)

2- راغب السرجاني، علم الحيوان في الحضارة الإسلامية.- موقع قصة الإسلام.- مايو 2006 متاح على الرابط: (www.islamstory.com)

9- الأحجار الكريمة

يقول علماء الجيولوجيا إن الأحجار الكريمة نوع من المعادن والعناصر النادرة، تتكون أساسًا من مادة "السيليكا" ويوجد نحو أربعة آلاف نوع معروف من المعادن الشائعة والموجودة في القشرة الأرضية، غير أن وصف "الأحجار الكريمة" لا ينطبق إلا على عدد ضئيل جدا من هذه المعادن بسبب ندرتها في الغالب، وهو أمر تحدده ظروف الطبيعة في المقام الأول. [1]

وقد عرف العرب المعادن والأحجار الكريمة، وكانت كلمة المعدن في أول الأمر تعني لديهم المنجم. وأول من استخدم الكلمة لتدل على المعنيين هو القزويني في عجائب المخلوقات. وتحدث العلماء المسلمون عن المعادن والأحجار، وعرفوا خواصها الطبيعية والكيميائية، وصنفوها ووصفوها وصفًا علميًا دقيقًا، كما عرفوا أماكن وجود كل منها. واهتموا بالتمييز بين جيّدها ورديئها. ولعل عطارد بن محمد الحاسب (ت. 206هـ/ 821م) كان أول من ألّف كتابًا في الأحجار باللغة العربية. وهذا الكتاب هو كتاب "منافع الأحجار"، وفيه ذكر أنواع الجواهر والأحجار الكريمة ودرس خواص كل منها. وقد ذكر الرازي هذا المؤلَّف في كتابه الحاوي. وهناك من العلماء من يعزو كتاب "الأحجار" لأرسطو إلى أصل سوري أو فارسي، وكتبت النسخة بالعربية منه في أخريات القرن الثاني الهجري، وعلى الرغم من قلة المادة العلمية فيه، إلا أنها تعكس آراء المسلمين عن المعادن في ذلك الوقت.

1- طارق الديب، العلاج بالأحجار الكريمة.- بنك المعلومات/ موقع موهوبون (www.mawhopon.net).- متاح في مايو 2010.

لعلَّ أقدم نص احتوى على أسماء الجواهر التي تعدن من الأرض، هو ما جاء في أمالي الإمام جعفر بن محمد المسماة التوحيد، نذكر منها الجص (أكسيد الكالسيوم)، والكلس (كربونات الكالسيوم) والمرتك (أكسيد الرصاص)، والذهب، والفضة، والياقوت، والزمرد، والقار، والكبريت، والنفط. ثم جاء جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق ليضيف بعض الجواهر والمعادن مثل الأسرب (نوع من الرصاص)، والمرقيشيا والياقوت الأحمر. وأضاف إخوان الصفا (31) جوهرًا جديدًا منها: (الطاليقوني، والإسرنج، والزاجات، والشبوب، وبواسق الخبز والعقيق والجزع). ثم أضاف البيروني الزفت واليشم والخارصين. وبالجملة نجد أنهم عرفوا من المعادن حتى عصر البيروني نحوًا من (88) جوهرًا مختلفًا مما يستخرج من الأرض. [1]

وقد اهتم العرب والمسلمون باستغلال المعادن والأحجار الكريمة بالقدر نفسه الذي أولوه لدراستها، فتكلم المؤلفون عن المناجم والمحاجر التي يستخرج منها الذهب والزمرد وغيرهما. وقد كانت لصياغة الحُلي والأحجار الكريمة في عهد العباسيين منزلة كبيرة، فكان الذهب والفضة والزمرد وأنواع الياقوت واللازورد والآزوريت واللؤلؤ يجلب من خراسان وإيران والبحرين ونيسابور وصنعاء ولبنان والهند وسيلان والسودان. ومن الأسماء التي اشتهرت بالخبرة في التعدين في أواخر الدولة الأموية والدولة العباسية: عون العبادي، وأيوب البصري، وبشر بن شاذان، وصباح جدّ يعقوب بن إسحاق الكندي، وأبو عبدالله بن الجصاص، وابن البهلول وغيرهم كثيرون. [2]

1- السيد عبد العزيز سالم، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مكتبة الأنجلو، ط2، القاهرة 1982، ص130؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، ب. ط، القاهرة 2001، ص384.

2- راغب السرجاني، التعدين في الحضارة الإسلامية.- موقع قصة الإسلام (www.islamstory.com).- متاح في 20 مايو 2006.

10 ـ علم الأرصاد الجوية

علم الأرصاد الجوية يعنى بدراسة جَوِّ الأرض، والتغيرات الجوية، التي يتألف منها المناخ. ويقيس علماء الرصد الجوي الرياح، ودرجة الحرارة، ومدى الرؤية، والضغط الجوي، والأحوال الجوية الأخرى. وكذلك يقيسون المواد الكيميائية الموجودة في الجو والتي تؤثر على المناخ مثل الكربون، وثاني أكسيد الكربون، والأوزون. وغالبًا ما يتمكن هؤلاء العلماء من التنبؤ بالحالة الجوية، من خلال تحليل المعلومات المتوافرة عن الجو. [1]

وقد حقق المسلمون في هذا المجال إسهامات كبيرة، فتكشف لنا كتب الرحالة والجغرافيين عن إدراك كامل لدورة الرياح، وأنواع الرياح سواء الجافة أو المطيرة، واتجاهات الرياح سواء على مناطق اليابس أو البحار. وقد استفاد العرب من ذلك في حركة التجارة التي كانت تعتمد على السفن الشراعية، كما أدركوا أيضًا تأثير القمر على حركة المد والجزر.

الخلاصة

أوضحت هذه الدراسة؛ أن الحضارة الإسلامية ساهمت في العديد من العلوم في عصر تألقها، إلا أن إسهاماتها لم تستمر على المستوى نفسه، فقد تعرضت لانتكاسات أتت من الهجمات الخارجية في صورة الغزو الصليبي والمغولي، فدُمرت إنجازات الحضارة الإسلامية وأصيبت في مقتل على حد

1- "علم الأرصاد الجوية"، ضمن موسوعة الجياش على شبكة الإنترنت:
(http://mosoa.aljayyash.net)

قـول المـؤرخ الأمريكـي ويل ديـو رانـت (1885 - 1981). إلا أن الباحثيـن الغربيين المنصفيـن يؤكـدون أن الحضـارة الإسـلامية مثلت الأسـاس الذي بني عليـه الغرب حضارتـه المعاصـرة، حينمـا قـام بنهضتـه الكبـرى فـي العصور الوسـطى فـي القرن الثاني عشر الميلادي.

المكتبات الشخصية في الأندلس

"ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم –اللهم إلا في بلاد الصين في عهد منج هوانج– ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر، ففي هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية"

المؤرخ الأمريكي

ويل ديورانت (1885 – 1981)

مقدمة

قصة الكتابة والكتاب تعني قصة الحضارة الإنسانية، فلولا الكتابة لما كانت الكتب، ولولا الكتب لما كانت المعرفة والاستنارة، وتاريخ الكتابة قديم يرجع إلى العصور القديمة. وقد سجل الإنسان ما مر به على الكهوف والصخور ولحى الأشجار، وقد بدأت بالأشكال ثم تطورت إلى الحروف ثم الكلمات، وقد استخدمت وسائط متعددة في الكتابة كالبوص والأدوات الحديدية وغير ذلك.[1]

أما الكتاب فقد مر بالعديد من المتغيرات التي أدت إلى تطور شكله ومحتواه بدايةً بأوراق البردي أو الطين أو الحرير حتى كانت مرحلة اكتشاف الورق في الصين. ثم أخذ الكتاب في التطور بعد اختراع الطباعة إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن بعد اكتشاف التقنيات الحديثة، فكانت حركة الإبداع والتأليف ودور النشر، فأصبح الكتاب ذا أثر بالغ في الفكر والثقافة والاقتصاد والإعلام.

وبظهور الكتاب برزت المكتبة التي اشتقت من الكتاب، وكان مفهوم المكتبة يتسع بمرور الزمن ليشمل النشرات والجرائد والمجلات والخرائط والمخطوطات، كما يحتوي على التسجيلات الصوتية والأسطوانات الرقمية، إلى أن تطور إلى مفهوم المكتبة الإلكترونية التي لا تحتوي على المطبوعات الورقية. أي أن المفهوم تطور ليشمل كافة وسائط المعرفة التي ابتدعها الإنسان في مختلف حقب الحضارة الإنسانية حتى يومنا هذا.

1- الفتاح الشيخ يوسف، "نشأة المكتبة في الدولة الإسلامية ودورها في نشر العلم والحضارة".- دورية ركائز معرفية (السودان).- المجلد الأول - العدد الأول؛ ديسمبر 2013. ص95.

وقد نشأت المكتبات في تاريخ الأمم ومنها أمة الإسلام في عصور الازدهار الحضاري والاستقرار السياسي والفكري، ودُمرت في فترات الاضطراب السياسي والتعصب العقائدي والانحطاط الفكري. وتاريخ المكتبة في الدولة الإسلامية يعني تاريخ الحضارة الإسلامية التي ارتكزت على العلم والعلماء، وقد اسهمت المكتبات في حضارة الإسلام بأن قدمت التراث الإنساني إلى البشرية جمعاء، وأسهمت في بناء الحضارة الإسلامية ونشر العلم والمعرفة. كما وثقت صلات الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى، إذ كانت منارات للعلم يجلس فيها العلماء والفقهاء والمترجمون والأطباء والفلاسفة في جو يسيطر عليه التسامح وحرية البحث ونشر الثقافة.[1]

تقع الأَنْدَلُس في الطرف الغربي من أوربا، وتشمل الآن ما يسمى إسبانيا والبرتغال، ويفصلها عن قارة أفريقيا مضيق جبل طارق. ويراد بالأَنْدَلُس في التاريخ الإسلامي تلك الحقبة الزمنية التي امتدت من فتح العرب لإسبانيا (91هـ/ 711م) حتى سقوط غرناطة (897هـ/ 1492م) وهي الفترة التي امتدت نحو ثمانية قرون.

وقد قام بفتح الأَنْدَلُس ثلاثة من أبطال الفتوح الإسلامية الكبرى؛ هم أسد الصحراء طارق بن زياد، وموسى بن نصير، وابنه عبد العزيز بن موسى. وقد علا شأن العروبة والإسلام في الأَنْدَلُس خلال العصور الممتدة بعد الفتح، حتى عصر آخر ملوك الأَنْدَلُس وهو أبو عبد الله، الذي ما كاد ينفرد بالحكم حتى خرج عليه فرديناند "ملك النصارى" عازمًا على آلا يعود في غرناطة مُلك للمسلمين. وتلاقى الغريمان وتراجع العرب وتم حصارهم في مدينة غرناطة، وأخذوا يعانون عذاب الموت جوعًا حتى اتفقوا على التسليم، وسلم مفاتيح المدينة السلطان أبو عبد الله، ثم ركب جواده

1- خلف أحمد محمود أبو زيد، "المكتبات منابع أصولنا الحضارية".- مجلة حراء (أسطنبول).- العدد(3) - السنة السابعة؛ (مارس - أبريل) 2012. ص30.

موليًا يودع ملكًا ذهب ومجدًا ضاع، ورأته أمه عائشة يبكي فقالت: "ابكِ مثل النساء ملكًا لم تحافظ عليه مثل الرجال".

ولم يعرف الإسبان عندما نفوا العرب من بلادهم أنهم إنما يخربون بيوتهم بأيديهم، ولم يدركوا أنهم قتلوا الإِوَزَّة التي تبيض الذهب، فقد كانت إسبانيا ولقرون طويلة في حكم العرب مركز المدينة، منبع الفنون والعلوم، مصباح الهداية في أوربا. وإننا لنلمس فضل المسلمين وعظيم أثر مجدهم حينما نرى في إسبانيا الأراضي المهجورة التي كانت أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار، فحينما نذكر تلك البلاد التي كانت في عصور العرب تموج بالعلم والعلماء، نشعر بالركود العام بعد الرفعة والازدهار.[1]

1 ـ المكتبة في الدولة الإسلامية:

نشأت المكتبة في الإسلام مع نشأة المسجد الذي كان أول المعاهد في صدر الإسلام، لذا كان لا يخلو من صحف القرآن وتفسيره وصحف الحديث وغيره، ويسعنا أن نؤكد أن أولى المكتبات كانت بيت الرسول (ﷺ)، حيث كان يجمع فيه ما يدونه كُتَّاب الوحي من التنزيل الحكيم، ثم نُقلت هذه الصحف من بيت النبي (ﷺ) إلى بيت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ثم حُفظت عند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أيام خلافته، إلى جانب هذا كان لبعض الصحابة والتابعين كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة التي عُرفت فيما بعد، فقد كان عند عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) مصحفه المشهور وصحف أخرى بخطه، وكان عند أبي هريرة (رضي الله عنه) كتب كثيرة فيها حديث

1- أشرف صالح محمد، "الأندلس: المجد الزائل".- مجلة نسمات (كلية الآداب- جامعة عين شمس).- العدد الثاني؛ أبريل 1420هـ/ 2000م. ص7.

النبي (ﷺ)، وغيرهم من الصحابة كثير، كما أوصى أبو قلابة أحد كبار التابعين بكتبه لأحد أصحابه، فجيء بها في عدل راحلة، كذلك النساء كُن يقتنين الكتب، فمثلاً كان عند أسماء بنت عميس (رضي الله عنها) كتاب جمعت فيه بعض أحاديث الرسول (ﷺ)، ثم كثرت المكتبات منذ أواخر القرن الثاني الهجري، وبلغت أوجَّ ازدهارها في أيام الخلافة العباسية.[1]

لقد شغف المسلمون في عهودهم الزاهرة بالكتب وإنشاء الخزائن لها على نحوٍ لم يكن معروفًا في تاريخ الأمم من قبل، ولم يكن هذا الشغف وقفًا على فئة معينة منهم كالحكام والعلماء والأغنياء، بل إن ذلك شمل خاصتهم وعامتهم على السواء، حتى إن متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربي مسلم في القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري أكثر مما تحتويه كل مكتبات الغرب مجتمعة، وقد تبارى الخلفاء والأمراء- في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها وفي الأندلس- في الحصول على أنفس الكتب وأندرها، حتى زخرت خزائن المكتبات العامة بآلاف المجلدات، بحيث يصعب أن تجد مسجدًا أو مدرسة أو خزانة كتب دون أن تزوَّد بمجموعة من الكتب يرجع إليها الطلاب والباحثون، وبهذا كثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات فيما بعد من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، فقد كان في كل المدن في إسبانيا الإسلامية مكتبات عديدة غنية، وفي قرطبة وحدها سبعين مكتبة، وكان في مدينة واحدة من مدن خراسان عشر دور للكتب منظمة، وتشتمل إحداها على (12000 مجلد).[2]

وفي أواخر القرن التاسع الميلادي كان في بغداد وحدها أكثر من مائة خزانة عامة للكتب، أما في مصر فكانت خزائن القصور في القاهرة موزعة على قصور عديدة،

1- محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر.- دمشق: مؤسسة الرسالة، 2001. ص36-37.

2- راجع: توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنةً بالحضارة الغربية.- المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، 1988. ص389 – 460.

وقد بلغ عدد الكتب في كل قصر نحو ألف مجلد، وقد كانت توجد في معظم مدن العالم الإسلامي دور عامة للكتب مفتوحة لطلاب العلم يجلسون في أروقتها المخصصة للاطلاع، وكانت هذه المكتبات تعطي رواتب وإعانات لِمَنْ يشتغلون فيها من الطلاب، كما كانت هذه المكتبات تقوم بترجمة الكتب من اللغات الأخرى مثل اليونانية والسريانية والقبطية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية، وبهذا ساهمت المكتبات الإسلامية في الحفاظ على التراث الثقافي العالمي.[1]

2 ـ الكتب والمكتبات الأندلسية:

أقام المسلمون في الأَنْدَلُس حضارة شامخة ارتكزت على مجموعة من الركائز أبرزها تقدير العلم واحترام الكتب، مما أدى إلى الاهتمام بدور العلم ومؤسساته، بما في ذلك المكتبات باعتبارها مؤسسات حضارية، فانتشرت المكتبات في طول البلاد وعرضها.[2]

فقد اقتدى الخلفاء الأمويون في الأَنْدَلُس بالخلفاء العباسيين في بغداد في جمع المخطوطات والبحث عنها والتقاطها وأنشأوا لها مكتبات قيمة، وحبسوا عليها أوقافًا وافرة، وعينوا لها خزانة وقوامًا وأمناء، وحشدوا نُساخًا ومترجمين ومذهبين. وكثرت المكتبات في قصور الملوك والأمراء وبيوت العلماء والأغنياء، فكل قصر أو بيت خلا من مكتبة عَد فارغًا من أثمن محتوياته، كما ضمت معظم المساجد مكتبات روادها الفقهاء والأدباء للمطالعة والاستفادة.[3]

1- داود عبد الملك يحيى الحدابي، "الإدارة التربوية العربية الإسلامية"/ ضمن موسوعة الإدارة العربية الإسلامية.- القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2004. (مج4، ص184-185).

2- رضا سعيد مقبل، تاريخ المكتبات في الأندلس.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009. ص22.

3- فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين.- بيروت: منشورات وزارة التربية الوطنية، 1948. (مج1/ ص71).

وقد تعلق الأَنْدَلُسيون بالكتب تعلقًا جعلهم يفرطون في متاعهم ولا يفرطون في كتبهم، فكان حب الكتب وانتشار المكتبات في الأَنْدَلُس نتيجة حتمية لالتزام المسلمين بتوجيهات القرآن والسنة التي حوت نصوصها الحث على طلب العلم وتحصيله من مظانه المختلفة، ورفع شأن العلماء، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.(سورة الزمر: 9) وقد ورد في حديث عن الرسول (ﷺ) أن "العلماء ورثة الأنبياء". كما حث الإسلام على نشر العلم، قال الرسول (ﷺ) "ما من شيء عند اعظم عند الله من رجل يعلم علمًا فعلمه الناس".[1]

وصارت محبة العلم والحرص على مدارسته ونشره جزءًا من كيانهم وكأنها استعداد فطري، فهم "يقرءون لأن يعلموا، لا لأن يأخذوا جاريًا، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق منه عنده حتى يعلم".[2] ولما كانت الكتب هي أداوت العلم، أقبل الأَنْدَلُسيون على اقتناء الكتب وتكوين المكتبات وانتشرت موجة حب الكتب بين جميع طبقات المجتمع الأَنْدَلُسي، سواء الأرستقراطية الإسلامية أو الطبقة المتوسطة من المسلمين.[3]

وهكذا؛ فإن الدافع الرئيس لحب الكتب وإنشاء المكتبات كان التزام الأَنْدَلُسيين بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة إلى أن طريقة الحياة الخاصة للشعوب الإسلامية جعلت من الكتاب الوسيلة الوحيدة للتربية، ويتمثل ذلك في غيبة المؤسسات، وعدم وجود معارض أو مسارح أو مجامع علمية منظمة مما جعل الكتاب

1- رضا سعيد مقبل، تاريخ المكتبات في الأندلس، (مرجع سابق)، ص23.

2- المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار صادر، 1978. (ج1/ ص220 - 221).

3- ألفرد هيسيل، تاريخ المكتبات/ ترجمة: شعبان عبد العزيز خليفة.- القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1993. ص54.

وسيلتهم الرئيسة في التربية.[1] فضلًا عن انتشار التعليم في الأَنْدَلُس، وجعل اللغة العربية – لغة العلم في العصور الوسطى– اللغة الرسمية في الأَنْدَلُس.

أضف إلى ذلك؛ انخفاض أسعار الورق، مما جعل أسعار الكتب في متناول الجميع، وذيوع مهنة الوراقة وكثرة الوراقين والنُساخ،[2] وكان هذا سببًا في كثرة الكتب، وتكوين المكتبات الخاصة، وانتشار المكتبات العامة في المدن للأفراد غير القادرين. وأيضًا سهولة الكتابة العربية، وسرعة الخط واختصاره الشديد مقارنةً بغيره من الخطوط في اللغات الأخرى؛ وذلك لبساطة تكوين الحروف في أشكال بسيطة جدًا، دون التواءات في رسمها، مما يجعل الوقت اللازم لنسخ صفحة باللغة العربية ثلث الوقت اللازم لنسخها باللغة اللاتينية، مما يعني أن عملية النسخ في اللغة العربية وسهولتها مقارنةً باللغات الأخرى ساعد على وفرة الكتب وكثرتها، وسهولة اقتنائها.[3]

عُرف الأَنْدَلُسيون بحب الكتب وتقدير العلم والأدب، وشغفوا باقتناء الكتاب بوصفها أحد أدوات العلم والحافظة له، وكانت محبة الكتب ثمرة من ثمرات المجتمع المسلم الذي يقوم على العلم الذي هو جزء من العقيدة الإسلامية. ونشأت في الأَنْدَلُس أنواع متعددة من المكتبات الخاصة والعامة في حين لم يعرف الغرب المسيحي سوى مكتبات الأديرة.[4]

وقد وجدت المكتبات الأَنْدَلُسية في القصور الملكية أو البيوت الخاصة، أو ملحقة بالجوامع والمساجد والمدارس، ومن ثَمَّ يمكن تقسيم تلك المكتبات إلى

1- **Carrion, Manuel, Spain libraries, in Encyclopedia of library and information science.- N.Y: Dekker, 1980. (Vol. 28; P.330).**

2- ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها المغربية/ ترجمة: الطاهر أحمد مكي.- القاهرة: دار المعارف، 1994. ص125.

3- رضا سعيد مقبل، تاريخ المكتبات في الأندلس، (مرجع سابق)، ص24.

4- ألفرد هيسيل، تاريخ المكتبات، (مرجع سابق)، ص54 .

فئتين عريضتين؛ الأولى المكتبات العامة[1]: يُتاح للجميع استخدامها والاستفادة منها مثل مكتبات الوقف،[2] ومكتبات المساجد،[3] والمدارس[4] بل والحدائق.[5] أما الثانية المكتبات الشخصية (الخاصة): ويُعنى بجمعها أفراد من الناس رغبةً منهم في العلم، مثل المكتبات الخلافية لدى الخلفاء والأمراء، وكذلك مكتبات الأغنياء والعظماء والوزراء والعلماء وغيرهم من صنوف الناس.

ويهمنا في هذا البحث المكتبات الشخصية (الخاصة)، وتنبع خصوصيتها من أن الأفراد يكونوها لمصلحتهم وبأموالهم ووفقًا لميولهم واتجاهاتهم العلمية. وتُعَدّ المكتبات الخاصة أول أنواع المكتبات الأَنْدَلُسية ظهورًا، وأكثرها عددًا، وأوسعها انتشارًا، فقد انتشرت في جميع أنحاء الأَنْدَلُس انتشارًا هائلاً، حتى صارت إحدى ملامح المجتمع البارزة. وقد حرص العلماء والأغنياء على اقتناء مجموعات ضخمة من الكتب حتى ليمكن القول بأنه لم يوجد عالم من علماء الأَنْدَلُس إلا لديه خزانة كتب خاصة، حيث كان من مستلزمات مكانتهم العلمية أن تكون لهم مكتباتهم الخاصة التي يرجع إليها للتثقيف والمعرفة، ويستعان بها في التأليف والتصنيف.

1- عن المكتبات العامة، راجع: زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب/ نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي.- بيروت: دار الآفاق العربية، 1982. ص499 - 500.

2- الوقف على المكتبات، راجع: أنور محمود زناتي، أندلسيات: دراسات متفرقة في الفن والأدب واللغة والتاريخ.- الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2013. ص53 - 61.

3- مكتبات المساجد والجوامع، راجع: محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس.- القاهرة: دار الفكر العربي، 1982. ص268. محمد أمان، الكتب الإسلامية/ ترجمة وتعليق: سعد بن عبد الله الضبيعان.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1990. ص59.

4- مكتبات المدارس، راجع: محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، (مرجع سابق)، ص378-409.

5- مكتبات الحدائق، راجع: أحمد مظهر العظمة، الإسلام ونهضة الأندلس.- القاهرة: المكتب الفني للنشر، 1959. ص12-13. وأيضًا:

Arnold, Thomas (Editor), The Legacy of Islam.- London: Oxford Univ. Press, 1931. P.14.

وقد حفلت كتب التراجم والطبقات الأَنْدَلُسية بذكر أخبار جماعي الكتب، وتوجد عبارات لها دلالتها في هذا الشأن منها: (واقتنى من الدفاتر والدواوين كثيرًا، وجمع من الدواوين العتيقة شيئًا عظيمًا، وكان مولعًا باقتناء نفائس الكتب، وكانت له همة عالية في جمع الكتب، وكان سرى الهمة في اقتناء الكتب، وجمع كتب لا تُحصى، وعنى بجمع الكتب واقتناء الأصول، وجمع من الأصول النفيسة ما أعجز أهل زمانه، وكان معتنيًا بجمع الكتب وانتساخها، ولم يكن في الأَنْدَلُس أكثر منه كتبًا..... إلخ). وهذه العبارات وغيرها تدل دلالة واضحة على انتشار عادة جمع الكتب واقتنائها بين الأَنْدَلُسيين.

وهنا يتضح أن "الناس على دين ملوكهم"، حيث لم يكن الأفراد أقل اهتمامًا من الخلفاء والأمراء بجمع الكتب وتكوين المكتبات، فقد تفشت هواية جمع الكتب بين جميع أفراد المجتمع الأَنْدَلُسي نتيجة لما نعمت به من الأَنْدَلُس من ازدهار علمي، ورخاء اقتصادي. ولقد بلغ حب الكتب عند الأَنْدَلُسيين كل مبلغ حتى إنهم كانوا يفضلون اقتناء الكتب على شراء الملبس أو المأكل، فربما خرج الواحد منهم بالدراهم ليشتري قوتًا لنفسه وعياله، فيصادف في طريقه كتابًا يُباع فيشتريه، ويرجع بالكتاب بدلاً من الطعام، ويبقى هو وعياله جوعى إلى أن ييسر الله المال لشراء الطعام.[1] وكانوا يعدون التفريط في الكتب أو بيعها رزيلة تستوجب الذم، "فقد حدث أن باع العباس بن غالب الهمذاني بعض كتبه، فكتب إليه أستاذه -أبو محمد القرطبي- في ذلك قائلاً: ... فعجبت من بطل يبيع سلاحه عمدًا ويضحى من الكتابة أعزلا".[2]

1- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابّي الموصل والصلة/ تحقيق: محمد بن شريفة.- بيروت: دار الثقافة، 1960. (السفر الأول/ ق1/ ص229).

2- رضا سعيد مقبل، تاريخ المكتبات في الأندلس، (مرجع سابق)، ص41.

وعلى الجانب الآخر؛ وجد من الأَنْدَلُسيين مَنْ يهتم بجمع واقتناء الكتب من أجل التباهي والتظاهر، وليس لأغراض العلم والمعرفة، فيروي لنا المقري التلمساني قصة تدل على أن هذا الشغف شاع بين الأغنياء ذوي الحظ اليسير من العلم، فقد كان من مظاهر الغنى الافتخار بامتلاك مكتبة، فهي من شارات الوجاهة والرئاسة عندهم.[1]

يقول المقري نقلاً عن الحضرمي: "أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد ثمنه فيرجع إلى المنادى بالزيادة علّي، إلى أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا، أرني مَنْ يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخص عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده، قال: فقال لي: لست بفقيه ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط، جيد الجلد، استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير. قال الحضرمي، فأحرجني وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرًا إلا عند مثلك !! يعطي الجوز مَنْ لا أسنان له، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلاً وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه".[2]

وترسم هذه القصة ما كان عليه سوق الكتاب في قرطبة من رواج، كما توضح صفات وفئات جماعي الكتب.[3] ويتضح منها؛ أن عادة اقتناء الكتب

1- شعبان خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم، الشرق الأقصى.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997. ص277.

2- المقري، نفح الطيب، (ج1/ ص463). ول ديورانت، قصة الحضارة/ ترجمة: محمد بدران.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1949. (ج3/ ص307).

3- حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس.- القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998. ص96.

وإنشاء المكتبات الخاصة انتشرت في الأَنْدَلُس كما يُنشئ أحدنا هذه الأيام غرفة الاستقبال لضيوفه أو غيرها من الغرف الأساسية، حتى أن البعض قد يكون جاهلاً أو غير مهتم بالموضوع، ولكن لكي يُقال بين الناس في الحي أو البلدة أن فلانًا من الناس عنده بعض خزائن الكتب الجيدة التي تحوي كتب نادرة، وأحيانًا كان يفتح أبوابها للآخرين.(1)

3 ـ الدراسة العددية للمكتبات الشخصية في الأندلس:

إن عدد المكتبات الخاصة في العصور الإسلامية لا يمكن حصرها،(2) كما لا توجد مصادر وافية للتعرف على عدد المكتبات الشخصية في الأندلس على وجه اليقين، لكن تبدو من الملاحظات المستخرجة من النصوص المختلفة هنا أو هناك أن عدد المكتبات في الأندلس بوجه عام لم يكن قليلاً بحال من الأحوال، فمختلف المصادر تجمع على أن عدد المكتبات زاد زيادة كبيرة في الأندلس، ومع ذلك لا تشير هذه المصادر إلى عدد كل نوع من أنواع المكتبات بصورة واضحة تساعد على الدراسة والتحليل الكمي، أو إلى عددها في المدن الأندلسية المختلفة، ولكنها تتحدث عنها جملةً وتفصيلاً.(3)

ومن المؤكد أن عدد المكتبات الخاصة بالأفراد كان يفوق الحصر، لأن المصادر لم تشر إلى عددها ولو حتى بطريقة تقريبية، ولكن ذكرت عدد كبير من أصحاب هذه المكتبات، وسوف نستعرض فيما يلي نماذج لهذا النوع من المكتبات:

1- ربحي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية.- عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 1999. ص128.
2- منصور محمد سرحان، المكتبات في العصور الإسلامية.- المنامة: مكتبة فخراوي، 1997. ص72.
3- حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، (مرجع سابق)، ص97 - 99.

4 ـ المكتبات الشخصية للأفراد البارزين في الأنْدَلُس

كان هناك أشخاص من ذوي الحيثيات كونوا مكتبات خاصة عظيمة من خلال وظيفتهم الرسمية، فلم يكن غرب العالم الإسلامي بأقل شأنًا من مشرقه في تكوين المكتبات الخاصة، فقد اهتم الأنْدَلُسيون والمغاربة بجمع الكتب واقتنائها أيما اهتمام.[1] وأقام المسلمون في الأنْدَلُس حضارة شامخة ارتكزت على مجموعة من الركائز من أبرزها تقدير العلم واحترم الكتب، مما أدى إلى الاهتمام بدور العلم ومؤسساته، بما في ذلك المكتبات. وتُعَدّ المكتبات الخاصة أول أنواع المكتبات الأنْدَلُسية ظهورًا، وأكثرها عددًا وأوسعها انتشارًا، فقد انتشرت في جميع أنحاء الأنْدَلُس انتشارًا هائلاً، حتى صارت إحدى ملامح المجتمع البارزة.

4 / 1 ـ مكتبة سلمة بن سعيد (327 ـ 406هـ/ 938 ـ 1015م)

يُعَدّ سلمة بن سعيد "سلمة بن سعيد بن حفص بن عمر، أبو القاسم" أحد أكابر شيوخ الأنْدَلُس الذين اعتنوا بالكتب أشد الاعتناء، فكان الرجل يرحل إلى المشرق ومصر ليجمع من كتب العلم ما شاء، فكان كلما اجتمع لديه مقدار من الكتب أرسل به إلى الأنْدَلُس، فجمع بذلك مكتبة ضخمة حوت الكتب من كل فن.[2]

1- وسام منير عبد الرحمن، مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري (أطروحة ماجستير/ إشراف: محمود عباس حمودة).- القاهرة: كلية الدراسات الإنسانية- جامعة الأزهر، 2007. ص91.

2- ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وحديثهم وفقهائهم وأدبائهم/ تحقيق: عزت العطار الحسيني.- القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994. (ج1/ ص219-220)

4 / 2 ـ مكتبة الوزير بن عباس (ت. 427هـ/ 1035م)

كان الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس له عناية بالأدب والعلوم، وكان جماعة لكتب العلم فغالى في أثمانها، جمع منها ما لم يكن عند ملك، إلا أنه كان ضنينًا بها، إذ أنه كان بخيلاً ومغرورًا في الوقت نفسه، ويقال أن كتبه بلغت أربعمائة ألف مجلد.[1] ولقد صُودرت ابن عباس وذلك في أثناء الفتن الداخلية التي حدثت في البلاد على عهد ملوك الطوائف (422-484هـ/ 1031-1091م) حيث اتسم ذلك العهد بالتفكك السياسي، فكانت كل إمارة تحاول الاستيلاء على ما حولها من الإمارات الأخرى، فلقد كان ابن عباس وزيرًا لزهير العامري (ت. 429هـ/ 1038م) ملك المرية (من أعمال الأَنْدَلُس) وحدثت بينه وبين باديس بن حيوس بن ماكس الصنهاجي (ت. 465هـ/ 1073م) ملك غرناطة منازعات انتهت لصالح باديس وأُسر الوزير بن عباس فيمن أُسر من أتباع زهير واستولى باديس على جميع كتبه وأملاكه.[2]

4 / 3 ـ مكتبة ابن حزم الأَنْدَلُسي (383 ـ 457هـ/ 993 ـ 1064م)

ومن المكتبات التي نالت شهرة كبيرة في الأَنْدَلُس مكتبة ابن حزم "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب" الذي نشأ في قرطبة وكان من أهم علمائها في الحديث والفقه، وكانت له عناية خاصة بعلم المنطق وألف فيه كتبًا خالف فيها أرسطاليس واضع هذا العلم، فلقد كانت مخالفته دالة على عدم فهم ولذلك جاءت كثيرة الغلط فيما يذكر ياقوت الحموي.[3]

1- ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حُلي المغرب/ وضع حواشيه: خليل المنصور.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. (ج2/ ص170-171)

2- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939. (مج2/ ق1/ ص166-167)

3- ياقوت الرومي، معجم الأدباء.- القاهرة: دار الفكر، 1980. (ج3/ ص546-547).

ولقد كان لابن حزم مكتبة ضخمة، فيقال أن كتبه كانت تشتمل على نحو أربعمائة ألف مجلد كل مجلد ثمانين ورقة،[1] ولقد أُحرقت معظم كتب ابن حزم بأمر من المعتضد بن عباد "عباد بن محمد بن إسماعيل، أبو عمرو" (404-461هـ/ 1013-1069م) ملك إشبيليه وذلك بإيعاز من الفقهاء في ذلك العصر، حيث كان ابن حزم في بادئ الأمر شافعيًا أي يسير على مذهب الإمام الشافعي ويدافع عنه حتى عُرف ونُسب إليه، ثم تحول إلى المذهب الظاهري فابتعد عنه الفقهاء وأخذوا يحذرون الناس منه.[2]

4 / 4 ـ مكتبة الوزير ابن الحكيم اللخمي (ت. 708هـ/ 1308م)

كان الوزير محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي، ممَنْ يعشقون اقتناء الكتب، وكانت لديه مكتبة قيمة، قال عنه ابن الخطيب: "وكان ذو صبابة باقتناء الكتب، جمع من أمهاتها العتيقة وأصولها الرائقة الأنيقة ما لم يجمعه في تلك العصور أحد سواه، ولا ظفرت به يداه... أحيا معالم الأدب، وأكرم العلماء، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقة تدبير المُلك عن المطالعة والسماع، وأفرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، وأثرت أنديته من ذخائرها، وقد استولت أيدي الغوغاء يوم قتله على تلك الكنوز فنهبتها وأتلفتها".[3]

1- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب/ تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي.- القاهرة: دار الاستقامة، 1949. ص47. المقري، نفح الطيب، (ج2/ ص83).

2- ياقوت الرومي، معجم الأدباء، (ج3/ ص552-553).

3- المقري، نفح الطيب، (ج5/ ص499 - 504). المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض/ تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939 - 1942. (ج2/ ص342).

5 ـ المكتبات الشخصية للأفراد غير الرسميين في الأَنْدَلُس

لقد حرص العلماء الأغنياء على اقتناء مجموعات ضخمة من الكتب حتى ليمكن القول بأنه لم يوجد عالم من علماء الأَنْدَلُس إلا لديه خزانة كتب خاصة، حيث كان من مستلزمات مكانتهم العلمية أن تكون لهم مكتبتهم الخاصة التي يرجع إليها للتثقيف والمعرفة، ويستعان بها في التأليف والتصنيف. وهناك نصوص ليست قليلة تدل على أن غير العلماء من الأشخاص العاديين الذين لم ينالوا قسطًا وافرًا من العلم والمعرفة كانوا حريصين على ألا تخلو منازلهم من مكتبات تشتمل على أنفس الكتب.[1] فقد أسرف عامة الناس من أهل الأَنْدَلُس في اقتناء الكتب وتجليدها وزخرفتها، واشتهروا بحبهم وولعهم بالمكتبات الخاصة والتي كانوا يتفاخرون ويتباهون ويتنافسون بمحتوياتها وما فيها وبنائها وترتيبها وكل ما من شأنه أن يظهر ثرائهم وفخرهم بها، وبذلك تجاوزت كونها مكانًا للعلم والمعرفة.[2]

5 / 1 ـ مكتبة ابن حبيب (ت. 238هـ/ 853م)

من أوائل المكتبات الشخصية مكتبة الفقيه عبد الملك بن حبيب بن مرداس السلمي. قال ابن عبد البر: "وكان جماعًا للعلم. كثير الكتب. طويل

1- حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، (مرجع سابق)، ص96.
2- وفاء أحمد سعيد البياتي، "الكتب والمكتبات في الحضارة العربية والإسلامية".- مجلة البحوث والدراسات الاسلامية (ديوان الوقف السني – العراق).- المجلد (1)، الإصدار (23) سنة 2011. ص281 – 282.

اللسان فقيهًا نحويًا عروضيًا. شاعرًا نسابة إخباريًا. وكان أكثر مِنْ يختلف إليه الملوك وأبناؤهم".[1] وقال إبراهيم المنذر الجزامي: "أتاني صاحبكم ابن حبيب بغرارة مملوءة كتبًا فقال لي: هذا علمك تجيزه لي؟ فقلت له: نعم، ما قرأ عليّ منه حرفًا، ولا قرأته عليه".[2] وتُعَدّ مكتبة ابن حبيب هذه أول مكتبة أندلسية خاصة تذكرها المصادر التي بين أيدينا.

5 / 2 ـ مكتبة محمد بن حزم (ت. 282هـ/ 895م)

لم يكن تأسيس المكتبات قاصرًا على الأغنياء وحدهم، وإنما كان البسطاء وذوي الدخول المحدودة يعنون بأن تكون لهم مكتباتهم الخاصة في بيوتهم في ضوء ما تسمح به إمكاناتهم، ويقدمونها على مظاهر الحياة الأخرى كالملبس والمأكل. ولدينا معلومات عن صاحب كُتّاب يُدعى محمد بن حزم "يعلم الأولاد فيه بمساعدة ابن له يقوم على تعليم الصبيان، وابنة تقوم على تعليم الفتيات، والمبالغ التي يدخره يشتري بها كتبًا، وفي أوقات الفراغ يقوم بنسخ الكتب التي يعيرها له على أصدقاؤه، وبالرغم من ظروفه المتواضعة التي لا تسمح له أن يستخدم خازنًا لمكتبته، كانت مكتبته منظمة، وفيها كتب قيمة وأحيانًا نادرة، وكان أدباء قرطبة يحسدونه على دقة كتبه وروعتها، التي أحضرها في رحلة كانت له إلى المشرق لهذا الغرض. وكان راوية للأدب والطرف، ولم يكن قبله أجمع للدواوين منه، ولا أصبر

1- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة/ تحقيق: محمد عبد الله عنان.- القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973. (ج3/ ص549)

2- عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تحقيق: أحمد بكير محمود.- بيروت: دار الحياة، (د.ت). (مج2/ ج3/ ص34). ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس.- القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1996. (ج1/ ص271)

علـى الكتـاب، ولا أدوم علـى النظـر، وخـرج حاجًـا فأدركتـه الوفـاة فـي مسـيرة وقد ركب البحر فكفن، وصلى عليه وألقي في البحر".[1]

5 / 3 ـ مكتبة ابن كيسان (ت. 375هـ/ 986م)

كان لدى أبي زكريا، يحيى بن عابد بن كيسان، مولى هشام بن عبد الملك مكتبة قيمة. ويروي ابن الفرضي عنه أنه قال: "لو عددت أيام مشي في المشرق وعددت كتبي التي كتبت هناك بخطي لكانت كتبي أكثر من أيامي بها، وقضى اثنين وعشرين سنة".[2] ويعني ذلك أنه كان ينسخ كل يوم كتابًا، ولذا فإن مكتبته كانت تحتوي على أكثر من ثمانية آلاف مجلد.

5 / 4 ـ مكتبة ابن ميمون (ت. 400هـ/ 1009م)

ومن أشهر مكتبات مدينة طليطلة، مكتبة أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي المعروف بابن ميمون، الذي "جمع من الكتب كثيرًا في كل فن، وكانت جلها بخط يده، وكانت منتخبة مضبوطة صحاحًا، أمهات لا يدع فيها شبهة مهملة، وقل ما يجوز عليه فيها خطأ ولا وهم، وكان لا يزال يتتبع ما يجده في كتبه من السقط والخلل بزيادة في اللفظ أو نقصان منه فيصلحه حيث ما وجده ويعيده إلى الصواب، وكانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم بن محمد أصح كتب في طليطلة".[3] ومن الطريف أنه يوم وقع

1- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة/ تحقيق: عبد السلام الهراس.- بيروت: دار الفكر، 1995. (ج1/ ص286، ص287). خوليان ريبيرا، "المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية"/ ترجمة: جمال محمود محرز.- مجلة معهد المخطوطات العربية. (ج1/ مج4/ مايو 1958/ ص92).

Olga Pinto, "The libraries of Arabs during the time of Abbasids".- Islamic culture.- Vol.3 (April 1929). P.218

2- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، (ج2/ ص194).

3- ابن بشكوال، الصلة، ص22. ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، (مرجع سابق)، ص183 – 184.

الحريق في سوق طليطلة احترقت دار ابن ميمون إلا البيت الذي كانت فيه كتب أحمد، وكان ذلك الوقت في الرباط، "وعجب الناس من ذلك، وكانوا يقصدون البيت ينظرون إليه".[1]

5 / 5 ـ مكتبة عائشة القرطبية (ت. 400هـ/ 1010م)

لم يكن الاهتمام بجمع الكتب وتكوين المكتبات الشخصية في الأَنْدَلُس مقتصرًا على الرجال فقط، بل لقد وجدت نساء عالمات اهتممن بجمع الكتب وبالأدب مثل عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم، التي كانت أكثر أهل زمانها علمًا وأدبًا وفصاحة، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب، وتهتم بالعلم، وكانت لها خزانة كتب كبيرة اشتملت على نفائس الكتب في مختلف صنوف العلم.[2]

5 / 6 ـ مكتبة هشام بن عبد الرحمن (ت. 423هـ/ 1031م)

عُرف عنه جودة النسخ، والاهتمام بالكتب، وحيازته للكثير منها.[3]

5 / 7 ـ مكتبة القاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن فطيس (348 ـ 402هـ/ 959 ـ 1011م)

ومن أشهر المكتبات الشخصية مكتبة القاضي أبي المطرف عبد الرحمن محمد بن عيسى بن أصبغ. قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في قرطبة سنة 394هـ، من أئمة

1- ابن بشكوال، الصلة، ص23.

2- ابن بشكوال، الصلة، (ج2/ ص654)

3- صورية متاجر، علم الوثائق والوثائقيين في الأندلس ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين: دراسة توثيقية بيبلوغرافية (أطروحة دكتوراه/ إشراف: محمد صاحبي).- الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014. ص56.

المحدثين وكبار العلماء، واسع الرواية والحفظ، فكان يملي الحديث من حفظه في مسجد والناس يكتبون. "وكان حسن الخط جيد الضبط، جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل عصره... وكان له ستة وراقين ينسخون له دائمًا، وكان قد رتب لهم على ذلك راتبًا معلومًا، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه، وبالغ في ثمنه فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه ورده عليه". ويذكر أن "أهل قرطبة اجتمعوا لبيع]كتبه[... مدة عام كامل في مسجده في الفتنة في الغلاء، وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسميه".[1]

"وكان لا يعير كتابًا من أصوله البتة،[2] وكان إذا سأله أحد ذلك وألح عليه السؤال، أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير، فإن صرفه وإلا تركه عنده".[3] وقد أعدّ لمكتبته مكانًا خاصًا وتفنن في زخرفته، "وكانت كتبه في مجلس جدرانه بالخضرة وسمكه ومسطحه والبرطل أمامه، والبسط الذي فيه والنمارق كلها خضر".[4]

1- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/ تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور.- القاهرة: دار التراث، 1974. (مج1/ ص478). ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت. (ج3/ ص163). شعبان خليفة، الكتب والمكتبات، (مرجع سابق)، ص269. حامد الشافعي، الكتب والمكتبات، (مرجع سابق)، ص102. محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها.- بيروت: مؤسسة الرسالة، 1978. ص97. وانظر أيضًا:

Thompson, Moslem libraries (Mediaeval).- Encyclopedia of library and information science. Vol. 30. (1983). P. 372.

قاسمية: نسبة إلى الدنانير التي ضربها القاسميون في قرطبة، أولهم حمود القاسم الذي ضرب دينارًا في قرطبة سنة 414هـ. راجع: الشيخ عبد الحي الكتاني، تاريخ المكتبات الإسلامية ومَنْ ألف في الكتب.- الرباط: المكتبة الحسنية، 2005. هامش (1)، ص60

2- عبد الله الحبشي، الكتاب في الحضارة.- الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1986. ص103.

3- متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995. ص146

4- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا).- القاهرة: دار الكاتب المصري، 1948. ص88.

5 / 8 ـ مكتبة فاتن الصقلبي (ت. 402هـ/ 1011م)

وهو أحد موالي المنصور الصقالبة، وقد جمع في خزانته عددًا كبيرًا من الكتب المضبوطة الصحيحة، "وكان أوحد لا نظير له في علم كلام العرب، وناظر صاعد فقطعه وظهر عليه وبكته فأعجب المنصور به، ولما توفي فاتن بيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة مُصححة".(1)

5 / 9 ـ مكتبة ابن الفرضي (ت. 403هـ/ 1012م)

كان ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن نصر الأزدي، من العلماء الذين لديهم مكتبة عامرة تعينه على التأليف والتصنيف، "فقد كان جماعًا للكتب حتى اقتنى منها عددًا كبيرًا لم يقتنيه أحد من أهل قرطبة".(2)

5 / 10 ـ مكتبة ابن النوالة (ت. في بداية القرن الخامس الهجري)

وكان إبراهيم ابن عبد الله المعروف بـ "ابن النوالة" لديه مكتبة يُستعان بها في التأليف والتصنيف، وصفه الحجازي بأنه "مما كان يؤخذ من ماله وأدبه، وأنه استعان بخزائن كتبه على ما صنفه كتاب المسهب".(3)

1- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1979. (ق4/ مج1/ ص34). المقري، نفح الطيب، (ج3/ ص82). ابن الأبار، التكملة، (ج2/ ص67).

2- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس.- القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966. ص254. ابن بشكوال، الصلة، ص251. أنجل حنثاليث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي/ نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1955. ص271.

3- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، (ج1/ ص71).

5 / 11 ـ مكتبة راضية (ت. 423هـ/ 1032م)

شاركت المرأة الأَنْدَلُسية الرجال في هواية جمع الكتب، ووجد نساء كانت لهن مكتبات، مثل: راضية مولاة الإمام عبد الرحمن بن محمد الناصر، تدعى نجم، فقد روى عنها أبو محمد بن خزرج وقال: "عندي بعض كتبها".[1]

5 / 12 ـ مكتبة خديجة بنت جعفر

كانت خديجة بنت جعفر بن نصر التميمي زوج عبد الله بن أسد الفقيه لديها مكتبة، فقد "حدثت عن زوجها عبد الله، وقيدت سماعها بخطها في سنة 394هـ ... وحبست مكتبتها عند ابنتها".[2] وبهذا كانت المرأة المسلمة متفوقة في مجال العلم والأدب في ذلك العصر المزهر، بينما كانت مثيلاتها من النساء في أوربا يرزحن تحت الجهل والعبودية.[3]

5 / 13 ـ مكتبة الوزير ابن عباس (ت. 427هـ/ 1035م)

من أشهر هواة الكتب في المرية الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس، "وكان قد بذ أهل زمانه بأربعة أشياء: المال، والعجب، والبخل، والكتابة، ويقال أن ما جمعه من الدفاتر بلغت أربعمائة ألف مجلد، أما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها".[4] ويقول عنه ابن الخطيب إنه "كان جامعًا للدواوين العلمية معنيًا بها مقتنيًا للجيد منها، مغاليًا فيها، نفاعًا من خصه بها، لا يستخرج منها شئ لفرط بخله بها

1- ابن بشكوال، الصلة، ص694.
2- ابن بشكوال، الصلة، ص693.
3- وفاء البياتي، "الكتب والمكتبات"، (مرجع سابق)، ص282.
4- دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام/ ترجمة: كامل كيلاني.- القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، 1933. ص47. فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية، (مج2/ ص759).

إلا لسبيلها حتى لقد أثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند ملك".[1]

5 / 14 ـ مكتبة ابن الموصل (ت. 433هـ/ 1041م)

كان ابن الموصل، محمد بن يحيى الغافقي، "أديبًا كاتبًا جامعًا لدفاتر العلم من لدن صباه، مقتنيًا لكرائمها، بصيرًا بخيارها، عارفًا بخطوطها يحتكم إليه في ذلك، مؤثرًا لها على كل لذة حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع لأحد في الأَنْدَلُس بعد الخليفة الحاكم، وبعد وفاته باع ورثته المكتبة وأغلوا فيها حتى قومت الورقة في بعضها بربع مثقال".[2]

5 / 15 ـ مكتبة ابن حيان الأروشي (ت. 487هـ/ 1094م)

كان عبد الله بن حيان الأروشي له همة عالية في اقتناء الكتب وجمعها، وجمع من ذلك شيئًا عظيمًا، وقد تعرضت مكتبته لنكبة لا يعرف سببها. فقد ذكر المؤرخون أن المأمون بن ذي النون صاحب بلنسية "أخذ كتب الأروشي من داره وسيقت إلى قصره، بلغت مائة وثلاثة وأربعون عدلاً من أعدال الحمالين، يُقدر كل عدل بعشرة أرباع. وقيل أنه قد أخفى منها نحو الثلث".[3]

1- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (ق1/ مج2/ ص664). ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الأول/ ق1/ ص277). ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (ج1/ ص259).

2- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، (ج1/ ص312). ويشير ابن خلدون إلى أن: "وزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير" وبناءً عليه فربع المثقال يساوي ثمانية عشر حبة من الشعير. انظر: ابن خلدون، المقدمة/ تحقيق علي عبد الوافي.- القاهرة: دار نهضة مصر، 1981. (ج2/ ص703).

3- ابن بشكوال، الصلة، ص288. الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.- القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967. ص343.

5 / 16 ـ مكتبة ابن روبيل (ت. 530هـ/ 1136م)

كان لدى ابن روبيل، سليمان بن عبد الملك، مكتبة قيمة، فقد اشتهر ابن روبيل "بجمع الدواوين، واقتناء الأصول، وكتب بخطه الحسن علمًا كثيرًا".[1]

5 / 17 ـ مكتبة ابن عطاف العقيلي (ت. 542هـ/ 1147م)

كان أبو جعفر، أحمد بن الحصن بن عطاف العقيلي، يمتلك مكتبة كبيرة، فقد "كان أعلى عصره همة في اقتناء الكتب وأشدهم اعتناءً بها ينتخبها ويتخذ لأعلاقها صوانات وحفائظ، وجمع منها في كل فن الكثير والنفيس، وكتب بخطه كثيرًا".[2]

5 / 18 ـ مكتبة ابن العربي المعافري (ت. 543هـ/ 1148م)

كان القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، يُتيح مكتبته لأقرانه: "قال القاضي أبو القاسم: كُنا نبيت معه في منزله في قرطبة، فكانت الكتب عن يمين وعن شمال، وينام في مكتبته إذا غلبه النوم دون أن يغير أثوابه، وكلما استيقظ مد يده إلى كتاب والمصباح لا يطفأ".[3]

5 / 19 ـ مكتبة عائلة ابن ملجوم (ت. 543هـ/ 1148م)

من أشهر المكتبات الأَنْدَلُسية مكتبة عائلة ابن ملجوم التي استوطنت الأَنْدَلُس منذ نهائية القرن الخامس الهجري. فقد كان عيسى بن يوسف بن علي المعروف بابن ملجوم "راوية مكثرًا جماعة للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، وبذل مال جليل

1- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1964. (السفر الرابع/ ص75).
2- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الأول/ ص98).
3- الضبي، بغية الملتمس، ص94.

للحصول على الأصول لمكتبته".[1] كما كان لدى عبد الرحمن بن يوسف بن ملجوم (ت. 605هـ/ 1207م) خزانة دفاتر جليلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها، وتصدق بها على ابنةٍ له، ولم يترك عقبًا غيرها، ويقال: إنها باعتها بأربعة آلاف دينار.[2] وقد اقتنى عبد الرحيم بن عيسى بن ملجوم (ت. 604هـ/ 1207م) من الدفاتر والدواوين كثيرًا، وآلت إليه مكتبة والده عيسى وخزانة عمه عبد الرحمن، كما صارت إليه مكتبة أستاذه محمد بن أحمد الخزرجي الجياني، وكانت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر.[3]

5 / 20 ـ مكتبة ابن عُمر الصنهاجي (ت. 547هـ/ 1152م)

من الشخصيات التي اشتهرت بجمع الكتب في العصر المرابطي المنصور بن داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني، وكان "ملوكي الأدوات، سامي الهمة، نزيه النفس، راغبًا في العلم منافسًا في الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه".[4]

5 / 21 ـ مكتبة ابن الصقر الخزرجي (ت. 569هـ/ 1173م)

كان لدى أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجي، مكتبة عظيمة مليئة بالذخائر والنفائس، "وقد اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى ما نسخه بخطه الرائق، ولكنه نُكب في مكتبته بدروب من المحت كالغرق والنهب خلال فتنة كانت وقعت

1- ابن الأبار، التكملة، (ج2/ ص16).
2- ابن الأبار، التكملة، (ج3/ ص52).
3- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين.- تطوان: معهد مولاي الحسن، 1949. ص283 - 284.
4- ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي أبو علي الصدفي.- القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967. ص202.

أيام مقامه في غرناطة، كذلك نُهبت كتبه في مراكش حين دخلها عبد المؤمن (541هـ/ 1146م)، وكان معه عند توجهه إلى مراكش خمسة أحمال كتبًا".[1]

5 / 22 ـ مكتبة ابن خير الإشبيلي (ت. 575هـ/ 1179م)

جمع ابن خير الإشبيلي مكتبة ضخمة "وكانت غاية في الصحة والإتقان، فقد خصص كل وقته لتصحيح كتبه ومعالجتها مع حسن خطه وجودة تقييده وضبطه فلحق بالمتقدمين وأربى على المتأخرين، وأدى ذلك إلى المغالاة فيها بعد وفاته، وتنافس الناس في اقتناء ما يوجد بخطه حتى بلغت أثمانها الغاية، ولم يكن له نظير في هذا الشأن مع الحظ الأوفر من علوم اللسان".[2]

وتعتبر مكتبة ابن خير الإشبيلي نموذجًا على أن أكثر من ثلثي مكتبات العلماء يتعلق بالكتب التي تفيد في دراساتهم الخاصة، وأن أقل من ثلثها يتناول المعارف الضرورية التي تناسب عصرهم، ويسهم في إبراز علومهم، فقد ضمت قائمة مكتبته (1124) كتابًا؛ كان منها في القراءات (108) كتابًا، وفي الحديث الشريف (112) كتابًا، وفي النحو (50) كتابًا، وفي اللغة (133) كتابًا، وفي النثر (87) كتابًا، وفي الشعر (162) كتابًا، فيكون مجموع هذه الكتب (652) كتابًا من أصل (1124) أي أكثر من النصف.[3] وهذا يؤكد اهتمام المؤلفين بتكوين مكتبات خاصة بهم تساعدهم وتمدهم بالمصادر التي هم في حاجة إليها للتأليف في ذات الموضوع.

1- عُمر فروخ، تاريخ الأدب العربي.- بيروت: دار العلم للملايين، 1982. (ج5/ ص407). أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي.- الرباط: كلية الآداب، 1993. ص149.

2- الذهبي، تذكرة الحفاظ.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1377هـ. (مج2/ ج2/ ص1366).

3- يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العرق والشام ومصر في العصر الوسيط/ ترجمه عن الفرنسية: نزار أباظة، محمد صبَاغ.- بيروت: دار الفكر المعاصر، 1991.ص312 - 317.

5 / 23 ـ مكتبة أسرة بني الفرس (ت. 567هـ/ 1171م)

كونت أسرة بني الفرس مكتبة قيمة، وهي من الأسر العلمية في الأَنْدَلُس، وظهر فيها عدد من العلماء، من أبرزهم: محمد بن عبد الرحيم المعروف بـ ابن الفرس، وكان في وقته أحد حُفاظ الأَنْدَلُس مع المعرفة بالآداب والأغربة إلى الضبط وجودة الخط، وكانت أصوله أعلاقًا نفيسة لا نظير لها، جمع منها شيئًا عظيمًا، وكتب بخطه أكثرها.[1] وقد انتقلت هذه المكتبة فيما يبدو إلى ابنه عبد المنعم بن محمد (ت. 597هـ/ 1200م)، فقد كان فقيهًا تولى القضاء في عدد من المدن الأَنْدَلُسية،[2] وقد زود هذه المكتبة بعدد كبير من الكتب، ثم صارت إلى أحد أبنائه وهو عبد الرحمن بن عبد المنعم (ت. 633هـ/ 1265م)، ثم أصابها ما أصاب غيرها من الضياع أو الحرق نتيجة الزحف النُصراني.

5 / 24 ـ مكتبة ابن حسان الإشبيلي (ت. 626هـ/ 1229م)

كان أبو القاسم أحمد بن حسان الإشبيلي "من جلة رؤساء بلده وأتمهم مروءة وأكملهم سراوة ... جانحًا إلى الأدب حافظًا للأخبار حسن الكتابة، نبيل الخط عدلاً، عنى بجمع دفاتر العلم فاقتنى من أصولها العتيقة كثيرًا".[3] وكانت مكتبته في بهو قصره الذي ملأه من الكتب، "وكان الناس يلجؤون إلى خزانة كتبه في حالة احتياج الكتب".[4]

1- ابن الأبار، التكملة، (ج2/ ص37 – 38).

2- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص110.

3- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الأول/ ق1/ ص6)

4- ابن سعيد المغربي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى/ اختصار: محمد بن عبد الله بن خليل؛ تحقيق: إبراهيم الإبياري.- القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1959. ص148 – 149.

5 / 25 ـ مكتبة ابن العشاب (ت. 637هـ/ 1239م)

من الذين تفخر بهم الأَنْدَلُس في عشق الكتب وتكوين المكتبات أحمد بن مفرج الأموي المعروف بالعشاب ابن الرومية، فقد كان لديه مكتبة من كبريات المكتبات الخاصة في هذا العصر. فكان "كثير الكتب جماعًا لها، في كل فن من فنون العلم سمحًا لطلبة العلم، وربما وهب منها لملتمسه الأصل النفيس الذي يعز وجودة احتسابًا وإعانة على التعلم".[1]

5 / 26 ـ مكتبة ابن البناء الإشبيلي (ت. 646هـ/ 1248م)

كان أبو بكر محمد بن البناء الإشبيلي مولعًا باقتناء نفائس الكتب، كما كان مولعًا بنسخ الكتب النفيسة، ويودعها مكتبته، وقد اتسعت هذه المكتبة للكثير من الكتب حتى قيل إنه لما غادر إشبيلية حمل معه نحوًا من خمسمائة كتاب بخط يده.[2]

5 / 27 ـ مكتبة ابن حكم القرشي (ت. 680هـ/ 1282م)

كان أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي "حسن الخط، بارع المنازع فيه، يكتب خطوطًا مختلفة كلها في نهاية الحسن، شديد العناية بجمع الدفاتر وأعلاق الكتب حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، وكون مكتبة ضخمة، إذ كان مقصودًا بها من المسلمين والنصارى، فكان يتخدم بها إليه النصارى ويتقرب بها إليه المسلمون".[3]

1- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (ج1/ ص208). ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، (مرجع سابق)، ص190.

2- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، (ج1/ ص254). عُمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، (مرجع سابق)، (ج6/ ص168).

3- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الرابع/ ص30 – 31).

5 / 28 ـ مكتبة ابن سعيد (ت. 685هـ/ 1286م)

كان علي بن موسى بن سعيد "واسطة عقد بيته، ودرة قومه، المصنف الأديب الرحال، الطرفة الإخباري، العجيب الشأن في التجول في الأقطار ومداخلة الأعيان والتمتع بالخزائن العلمية، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية. استعان بمكتبته في كتابة مؤلفاته العديدة، وقيل إنه خلف كتابًا يسمى (المرزمة) يشتمل على وِقْرُ بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله عز وجل".[1]

5 / 29 ـ مكتبة ابن الزبير (ت. 708هـ/ 1308م)

كان أحمد بن إبراهيم بن الزبير يمتلك مكتبة خاصة، "ونظرًا لعلو مكانته سعى الوشاة بينه وبين حاكم مالقة، حتى أجبروه على الرحيل إلى غرناطة، ودهموا منزله، واستولت الأيدي على مكتبته الخاصة التي بها ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه مما سبب له حسرة كبيرة، ولجأ إلى سلطان غرناطة محمد الأول بن يوسف (635-671هـ) الذي أكرم مثواه، وعرف قدره، ورد إليه مكتبه".[2]

5 / 30 ـ مكتبة ابن جزئ الكلبي (ت. 741هـ/ 1340م)

وممَنْ كان لديه مكتبة خاصة محمد بن أحمد جزئ الكلبي، فقد كان عاكفًا على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهًا حافظًا قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب مستوعبًا للأقوال جماعًا للكتب، ملوكي الخزانة، له تواليف كثيرة.[3]

1- ابن فرحون، الديباج المذهب، (مج2/ ص112 - 113). مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب.- بيروت: دار العلم للملايين، 1974. ص652.

2- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (ج1/ ص190 - 193).

3- ابن فرحون، الديباج المذهب، (مج2/ ص274). المقري، نفح الطيب، (ج5/ ص514).

5 / 31 ـ مكتبة ابن حربلة (ت. قبل 760هـ/ 1359م)

كان الشيخ الخطيب أبو عبد الله بن حربلة "عنده خزانة كتب اسفارها" عديدة وأغراضها سديدة".[1]

5 / 32 ـ مكتبة آل عظيمة

من أشهر المكتبات الخاصة في الجزيرة الخضراء، مكتبة آل عظيمة. وقد حرص ابن عبد الملك المراكشي على زيارتها عندما نزل بالجزيرة الخضراء، قال: "وقد وقفت بالجزيرة الخضراء عند صاحبنا أبي عياش بن الطفيل على جملة وافرة من كتب سلفه مما تملكوه أو كتبوه أو ألفه مؤلفوه".[2]

5 / 33 ـ مكتبة ابن ليون

يذكر ابن الخطيب عن الشيخ سعيد بن أحمد بن ليون قوله: "وكانت بضاعته خزانة كتب جمعت الآباء والأمهات والفرقد... والحقائق والترهات، ولا يزال عاكفًا على ذنانها جانيًا لألفاف جنانها".[3]

5 / 34 ـ مكتبة عمر بن عبيد الله الزهراوي

"حاول النجاة بمكتبته، فشد ما اختاره منها في ثمانية أحمال ليخرجها من داره في الربض الغربي إلى مكان آخر أكثر أمنًا، ولكن لم يستطع أن يحقق غايته، فقد انتهبها البربر".[4]

1- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في مَنْ لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1963. ص53.
2- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، (السفر الثامن/ ق1/ ص125).
3- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص86.
4- شرين السيد عبده محمود، الاتصال الوثائقي في الأندلس (أطروحة ماجستير/ إشراف: حمدي عبد المنعم، السيد النشار).- الإسكندرية: كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، 2002. ص149.

خلاصة:

إن تاريخ المكتبات الإسلامية هو في الواقع تأريخ للفكر الإسلامي في مسيره ومصيره، ذلك لأن الدور الذي لعبته المكتبات في تاريخ الحضارة الإسلامية جد خطير، فقد قامت بنشر الثقافة بين المسلمين وتوطيد الصلات العلمية بين العلماء، مما ساهم في التقدم والنهضة، ومن هنا كانت أهمية دراسة المكتبات في الأَنْدَلُس للتعرف على أهم دعائم الحضارة الإسلامية في الأَنْدَلُس في العصر الوسيط.

وقد كانت المكتبات الخاصة أول أنواع المكتبات في الأَنْدَلُس ظهورًا وأكثرها انتشارًا بحيث لم يشتهر إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية بما فيه من مكتبات خاصة بقدر ما اشتهرت به الأَنْدَلُس.

فقد انتشرت هواية إنشاء المكتبات الخاصة بين الأفراد على اختلاف مستوياتهم، وقد انتقلت هذه الثقافة العربية الإسلامية إلى الإسبان غير المسلمين الذين عاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي، وقد سرت إليهم العادات الإسلامية، وتعلموا اللغة العربية، وكتبوا بها، بل واقتنوا مكتبات عربية، حتى أنه يُروى عن قس نصراني أنه قال: "إن إخواني المسيحيين... يقبلون على كتب العرب في نهم وشغف ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقت الذي يحتقرون فيه الكتب المسيحية وينبذونها".[1] وهذا دليل واضح على انتقال عادة اقتناء المكتبات الخاصة من المسلمين إلى المسيحيين في إسبانيا.

1- ربحي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة، (مرجع سابق)، ص128 - 129.

القيادة الإدارية في فكر الفارابي

(259 ـ 339هـ/ 870 ـ 950م)

"إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني
اضطلع به المسلمون؛ فالفارابي أعظم الفلاسفة"

المستشرق البلجيكي
جورج سارتون (1884 – 1956)

مقدمة:

ترتبط نشأة القيادة بنشأة المجتمع البشري، إذ تمتد جذورها إلى الوقت الذي بدأ فيه التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات وانصهارهم في تنظيمات اجتماعية متعددة، وقد برز هذا الاهتمام في كتابات المفكرين والفلاسفة القدامى، وفي دراسات الباحثين المحدثين، وانعكس هذا في الصور التي مورست فيها القيادة على مر العصور، لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن يكون هناك اهتمام عالمي متزايد بالقائد الإداري الذي أصبحت ندرته من أهم المشكلات التي يواجهها الكثير من الدول وخاصةً النامية، فلم يكد الإنسان يتخلى عن تمدده، ويتخلص من هاجس التبعية التي طالما تخبطت فيها المجتمعات لاسيَّما النامية منها، حتى برزت أهمية القيادة وتأثيرها علينا في كافة مناحي الحياة.[1]

كان الإسلام هو أول مَنْ أوضح الحد الأدنى الذي تستوجبه القيادة الرشيدة حتى لا يستبد كل فرد برأيه أو أن يتصرف تبعًا لهواه.[2] فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم".[3] وقال أيضًا: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم".[4] وقد علق

1- محمد إبراهيم حسن محمد، القيادة الإدارية في المكتبات ومؤسسات المعلومات.- القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2010. ص 23.

2- حمدي أمين، الفكر الإداري الإسلامي المقارن.- القاهرة: دار الفكر العربي، 1973. (الكتاب الأول: الأصول العامة، ص 196).

3- الإمام أحمد بن حنبل (ت. 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ضبط وتعليق: أحمد شاكر.- القاهرة، دار المعارف، 1951. (ج10، الحديث 6647).

4- الحافظ المنذري (656هـ)، مختصر سنن أبي داود.- القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1948. (ج3، الحديث 2496، الحديث 2497).

شيخ الإسلام ابن تيمية على هذين الحديثين بقوله: "فإذا كان قد أوجب الإسلام في أقل الجماعات (ثلاثة أفراد) واقصر الجماعات وفي سفر أن يتولى أحدهم، كان هذا تشبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك".[1]

وعلى صعيد الفكر، حظيت القيادة باهتمام بالغ في الفكر الإداري الإسلامي الذي يعكس تراثه مدى تفوق هذا الفكر على أحدث الدراسات المتقدمة، فيؤكد ابن خلدون (732 – 808هـ) في مقدمته أن تنصيب الإمام (القائد) واجبًا، وقد عُرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة، لأن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بادروا إلى مبايعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذلك في كل عصر بعد ذلك، ولم يُترك الناس فوضى في عصر من العصور، واستمر ذلك دالاً على وجوب تنصيب الإمام القائد.[2] كما أكد الإمام الماوردي أن عقدها -أي القيادة- لمَنْ يقوم بها في الأمة واجبًا بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم.[3] وقد عبر الإمام الشاطبي عن هذا المعنى بقوله: "إن الناس لابد لهم من قائد يقودهم في الدين... وإلا وقع الهرج..".[4]

1- شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (661 – 728هـ)، الحسبة في الإسلام.- القاهرة: المطبعة السلفية، 1378هـ. ص 5.

2- ابن خلدون، المقدمة/ تحقيق: علي عبد الواحد وافي.- القاهرة: مجلة البيان العربي، 1958. ص 167 – 168.

3- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية.- القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، 1973. ص5.

4- الإمام الشاطبي بن اسحاق، الاعتصام.- القاهرة: مطبعة المنار، 1914. (ج2، ص 245).

1 ـ حياة الفارابي:

الفارابي، أبو نصر محمد (870 – 950م). وقد كُني بأبي نصر رغم أنه لم يتزوج ولم ينجب أولادًا. وهو فيلسوف عربي إسلامي لقب بـ "المعلم الثاني" نظرًا لمكانته الكبيرة في الفلسفة ووفرة إنتاجه فيها ومتابعته لدراسات أرسطو وشرحه لنظرياته، فاعتبر أنه أكبر الفلاسفة من بعده، وأعظم شارح وموضح لأفكاره، ولما كان لقب أرسطو المعلم الأول، لذلك أُطلق على خليفته في عالم الفلسفة لقب "المعلم الثاني".[1] اِشتُهر بـ "الفارابي" نسبةً إلى موطنه الأول، فقد ولِدَ في مدينة "وسيج" في مقاطعة "فاراب" وهي منطقة كبيرة وراء نهري سيحون وجيحون، تقع على جانب الفرع الأكبر لنهر "سيحون" في طرف بلاد تركستان.[2]

يصعب تحديد السنة التي ولد فيها الفارابي، والراجح أنه ولد حوالي سنة 259هـ الموافقة لسنتي (870 – 871م)، يستنتج من ذلك استنتاجًا مما ذكره المؤرخون في وفاته، فقد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة 339هـ (950 – 951م) بعد أن عاش ثمانين

1- وهناك رأي آخر أورده حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون"، ج3، طبعة لينبرغ 1830، ص 98 – 99: (إن مترجمي المأمون أتموا تراجم لا توافق ترجمة أحدهم ترجمة الآخر، فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة، بل أشرفت أن عفت رسومها إلى زمن الحكيم الفارابي، ثم إنه التمس منه ملك زمانه منصور بن نوح الساماني أن يجمع تلك التراجم، ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة، مهذبة، مطابقة لما هي عليه الحكمة، فأجاب الفارابي، وفعل كما أراد وسمي كتابه "التعليم الثاني"، فلذلك لُقب بـ المعلم الثاني).

2- روى ابن أبي أصيبعة: "أن أبا الفارابي كان فارسي الأصل، تزوج من امرأة تركية، وأصبح قائدًا في الجيش التركي، وذكر أن الفارابي اشتغل بالقضاء في بلدته قبل أن ينكب على دراسة الفلسفة". انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، ص 143.

عامًا.[1] ويرى معظم المؤرخون أن الفارابي تركي الأصل، مسقط رأسه كان من مناطق بلاد التركستان، وهي بلاد ينتمي معظم سكانها إلى الشعب التركي. لقد لف الغموض طفولته الأولى، أما المراحل التالية من عمره فتظهر من سيرته أنه بعد بلوغه دور التعلم عكف في مسقط رأسه على دراسة طائفة من مواد العلوم والرياضيات والآداب والفلسفة واللغات، وعلى الأخص اللغة التركية، وهي لغته الأصلية ثم اللغة الفارسية واليونانية والعربية.[2]

خرج في سنة 310هـ من بلده قاصدًا العراق، وقد بلغ الخمسين من عمره، فأتم دراسته التي بدأها مضيفً إليها مواد أخرى كثيرة، فدرس في "حران" الفلسفة والمنطق والطب على يد الطبيب المنطقي "يوحنا بن حيلان"، ثم درس الفلسفة والمنطق على يد "أبي بشر متى بن يونس في بغداد" وكان من أشهر الباحثين في المنطق، ومن أشهر المترجمين للكتب اليونانية، كذلك درس في بغداد العلوم اللسانية العربية على يد "ابن السراج" وأتيح له فيها أيضًا دراسة الموسيقى، ولم يعقه تقدمه في السن عن متابعة دراساته، فقد ذهب مذهب العلماء في عصره الذين كانوا يطلبون العلم باستمرار.[3]

أكثر الفارابي من سفره طلبًا للعلم ونشره، وسعيًا للإحاطة بشؤون الجماعات، فنتقل من العراق إلى الشام في سنة 330هـ، واتصل بالأمير سيف الدولة الحمداني الذي أكرم وفادته، وقدر له علمه، فعاش في كنفه منقطعًا إلى التعليم والتأليف، وكان خلال إقامته في الشام ينتقل بين مدنها، ثم سافر إلى مصر في سنة 338هـ، ورجع منها إلى دمشق حتى توفي سنة 339هـ في شهر كانون الأول من سنة 950م.[4]

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان/ تحقيق: محي الدين بن عبد الحميد محمد.- 1369هـ (ج5/ ص681).

2- أعلام ومفكرون/ تحرير: حكيم محمد سعيد.- عمان: الأكاديمية الإسلامية للعلوم، 2000. ص 10.

3- حسام الغرباوي، "الفارابي بين أفلاطون وأفلوطين".- مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (جامعة بغداد).-ع16؛ كانون الأول 2012. ص 22.

4- اتفق القاضي صاعد، وابن أبي أصيبعة، والقفطي، وابن خلكان: أن الفارابي قد توفي في سنة 339هـ عن عمر بلغ الثمانين عامًا.

كان الفارابي في حياته متقشفًا زاهدًا، فلم يتزوج ولن يقتن مالاً، بل اكتفى بأربعة دراهم يوميًا يقبضها من سيف الدولة الحمداني، وينفقها فيما يحتاج إليه من ضروري العيش، وقد بلغ من تقشفه أنه كان يسهر الليل للمطالعة والتصنيف مستضيئًا بقنديل الحارس، لأنه لم يكن يملك قنديلاً خاصًا به، وأنه بقي على هذه الحال أمدًا طويلاً. وقد آثر الفارابي العزلة والوحدة ليخلو إلى التأمل والتفكير، وكان طول مدة إقامته في دمشق يقضي معظم أوقاته في البساتين وعلى شواطئ الأنهار، فلا يكون إلا في مجتمع ماء أو مكان ما ظليل كثير الأشجار، حيث يؤلف بحوثه ويلتقي طلابه وزملاءه ومساعديه.(1)

2 ـ الإنتاج الفكري للفارابي:

ترك الفارابي مؤلفات كثيرة يصعب حصرها وإحصاؤها، ولم يصل منها إلا القليل، لا يزيد عددها عن الأربعين رسالة، منها اثنتان وثلاثون رسالة بالعربية، وست رسائل مترجمة إلى العبرية، وترجمت رسالتان إلى اللاتينية. ومن رسائله الفلسفية الباقية: "الواحد والواحدة"، و"الجوهر"، و"الزمان"، و"المكان"، و"الخلاء"، و"معاني العقل"، و"عيون المسائل"، و"فصوص الحكم". ومن أهم ما وصل من مصنفاته التي تمثل شروحًا وتعليقات على مؤلفات أرسطو وشروحه وتعليقاته على مباحث كتاب "الأورغانون"، كذلك وصل من مؤلفاته في شؤون السياسة والاجتماع: "آراء أهل المدينة الفاضلة"، و"السياسة المدنية"، ومن مؤلفاته في الموسيقى كتاب "صناعة علم الموسيقى"، وله في إحصاء العلوم كتاب قيم كان موضع إعجاب من قدامى الباحثين ومحدثيهم، فقد عرض كل علم عرض الخبير بحقائقه.(2)

1- ابن خلكان (ج2/ ص21).

2- حنا الفاخوري، وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية.- بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1963. ص376.

ويُعدُّ الفارابي من أبرز شرّاح كتب أرسطو ومن أوائل مَنْ وضعوا الأسس للتصوير الفلسفي للسياسة،[1] فهو رائد للاتجاه السياسي الفلسفي، حيث يمثل حلقة الوصل بين الفكر الإسلامي والفلسفة اليونانية، فقد قدم فكرًا سياسيًا يُعلي من مكانة "العقل". ويُعَدّ الفارابي ومن بعده ابن سينا وابن رشد بمثابة الجسور الحضارية والفكرية التي تعرف من خلالها مفكرو أوروبا في تلك الفترة على الفكر اليوناني.

الجدير بالذكر؛ أن للفارابي العديد من الكتب التي شغلت معاصريه ومَنْ بعدهم، ومنها:[2]

• كتاب العقل والمعقول	• كتاب في النواميس
• كتاب التوطئة في المنطق	• كتاب الألفاظ والحروف
• كتاب منطق الفارابي	• كتاب المبادئ الإنسانية
• كتاب الجمع بين رأي الحكيمين	• كتاب شرائط البرهان
• كتاب الزمان	• كتاب الخرافة الكبير
• كتاب جوامع السياسة	• كتاب العلم الطبيعي
• شرح كتاب المجسطي لبطليموس	• كتاب احصاء العلوم والتعريف بأغراضها
• شرح كتاب البرهان لأرسطوطاليس	• رسالة في التنبيه على أسباب السعادة
• كتاب الجوهر	• رسالة في ماهية النفس
• كتاب المختصر الكبير في المنطق	

1- محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993. ص71 - 72.

2- محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام.- القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013. ص38-40.

ويهمنا في هذه الدراسة كتب "آراء أهل المدينة الفاضلة"، و"السياسة المدنية"، و"رسالة في السياسة"، والتي تُعَدّ بحق من الكتب الأساسية التي تعالج الأفكار الإدارية المختلفة والمتعلقة بفلسفة الإدارة العامة ومضامينها المرتبطة بالسياسة العامة، والحكومة، ونظرية القيادة، والإدارة الاستراتيجية، وغيرها.

3 ـ مفهوم القيادة الإدارية:

يُعَدّ مفهوم القيادة من المفاهيم المراوغة صعبة المراس بحيث يصعب تعريفه على نحو يرضى الجميع، برغم أن جميع الأفراد يعتقدون بأنهم يدركون أبعاده،[1] وفى الواقع إن موضوع القيادة من الموضوعات المتداخلة التي يتقاسمها تخصصات عدة من أبرزها مجالات الدراسات الإدارية والسلوكية، ويمكن اقتفاء أثر مثل هذا التداخل ليس فقط في الإنتاج الفكري الغربي ولكن أيضًا في الإنتاج الفكري الشرقي لاسيَّما الإنتاج الفكري الصيني الرصين الذي تم تأليفه على مدار ألف عام مضت.[2]

وتتعدد التعريفات التي تفسر القيادة وتوضحها بوصفها أحد أهم العناصر الإدارية، فهناك مَنْ يرى أنها: "عملية التأثير على الآخرين لتوجيه جهودهم لتحقيق أهداف الجماعة"، وهناك مَنْ يرى أنها "استخدام القوة لإحداث نوع من التأثير في الغير"،[3]

1- Stephens, Denise & Russell, Keith, Organizational Development and Leadership, Change, and the Future of Libraries. - Library Trends. - Vol. 53, No. 1 (Summer 2004).- P. 249.

2- Kouzes, James M. & Posner, Barry Z., The Leadership Challenges.- San Francisco: Jossey - Bass, 2002.- P. 30.

3- هند عبد الرحمن آل عروان. الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات ومدى تطبيقها في الأقسام النسائية بمؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003. ص 89.

ويرى البعض أن القيادة هي: "القدرة على التأثير في سلوك أفراد الجماعة والتنسيق بين جهودهم لبلوغ الغايات المنشودة"، وينظر الكثيرون إلى القيادة على أنها مرادفة للتأثير، ومن ثَمَّ فإن التأثير بالنسبة للقائد هو أكثر السمات أهمية على الإطلاق. ويذكر أن القيادة هي عملية الوصول إلى ما في داخل أعماق المرؤوسين بهدف استخراج أفضل ما لديهم، والذي ربما لا يكونون على علم بوجوده في مكنون شخصياتهم، ويعمد القادة إلى تشجيع أتباعهم على الوصول إلى الأهداف التي قد تكون بعيدة المنال بالنسبة إليهم.[1]

4 ـ القيـادة في فكر الفارابي:

من الراجح أن أكثر الأفكار الإدارية وضوحًا عند "أبو نصر" هي تلك المفاهيم المتعلقة بالقيادة، باعتبارها فن التأثير في الآخرين، فإن هذه الوظيفة "القيادة" هي أساس كل تنظيم، ولا تقوم المنظمات إلا بوجود القادة.[2] يتناول الفارابي موضوع القيادة من زوايا متعددة، ففيما يتعلق بأهمية وضرورة القيادة يعتقد الفارابي أن من أهم وظائف المدينة الفاضلة (التنظيم الناجح) وأكبرها خطرًا هي وظيفة الرئاسة (القيادة). ذلك أن رئيس المدينة أو قائدها إنما هو منبع السلطات العليا التي يقف على رأسها، وهو المثل الأعلى الذي تتحقق فيه جميع معاني الكمال وهو مصدر حياة المدينة ودعامة تنظيمها،[3] إذ لا يمكن للمدينة في نظر الفارابي أن تكون صالحة عادلة إذا هي

1- Covey, Stephen R., the 8th Habit: from Effectiveness to Greatness.- New York: Free Express, 2004.- PP. 122, 217.

2- Mondy, R. and R. Premeaux., Management.- Boston, U.S.A.: Houghton Mifflin, 1995. P.90.

3- أثير أنور شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي: دراسة تاريخية تأصيلية".- المجلة العربية للإدارة.- المجلد (32)، ع-1 يونيو (حزيران) 2012. ص 10.

لم تخضع لقيادة،[1] حتى إن انتقاده الأول كان للمدينة الجماعية هي إنها:[2] "لا رئيس فيها ولا مرءوس". والأمر مختلف فيما يتعلق بالمدينة الفاضلة لأنها تحتاج إلى إدارة وتنظيم وإلى مَنْ يوجه الناس نحو الرأي والعمل الصائب، وإنما يتأتى ذلك بقيادة تمكن تلك الأفعال والملكات في المدينة أو الأمة، أي (التنظيم) مهما كان حجمه أو طبيعته.[3]

كما يشير الفارابي إلى أن القيادة أمر وشرط لازم سابق حتى على وجود المدينة (التنظيم) ذاتها، إذ إنه يجب أن يكون فيها عضو رئيس سماه أو شبهه بالقلب، وأن رئيس المدينة على حد قول الفارابي[4] يكون هو أولًا ثم يكون هو السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها. أي أن يبنى التنظيم ومكوناته.

وفي مجال القيادة أيضًا من الراجح أن الفارابي هو أول الفلاسفة الذين فسروا الأصول النظرية للقيادة وأرجعها إلى عوامل فطرية أو مكتسبة، وهو ما يقابل في الدراسات المعاصرة نظرية السمات والنظرية السلوكية،[5] إذ تركز النظرية الأولى على أبرز السمات والعوامل التي تجعل أشخاصًا دون غيرهم قادة، أما النظرية الثانية فتحدد التصرفات الواجب اتباعها للقيادة الفاعلة.[6] وبهذا الشأن يقول الفارابي:[7] "إن الرئاسة إنما تكون بشيئين، أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معدًا لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية". وبذلك يشير الفارابي إلى أنه ليس في وسع كل إنسان أن يكون رئيسًا

1- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي.- بيروت: دار الطليعة، 1997. ص 85.
2- الفارابي، كتاب السياسة المدنية، تونس: سيراس للنشر، 1994. ص 92.
3- بنعبد العالي، الفلسفة السياسية، ص 85.
4- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة.- بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1959. ص 96.
5- شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 10.
6- Robbins, P., Management.- New Jersey, U.S.A.: Englewood Cliffs, 1994. P. 496.
7- الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 101.

(قائــدًا)، لأن الرؤســاء ليســوا كذلــك بــالإرادة فقــط، ولكنهــم قــادة بالطبــع والملكات التي يحملونها أيضًا.[1]

وقد تكلم الفارابي عن القيادة الموقفية بتقديمه لنموذج القيادة الجماعية في حال تعذر وجود القائد المثالي الذي يجمع بين الخصال الفطرية والمكتسبة، حيث يقول: "وإن خلت المدينة من رجل متصف بهذه الصفات (المكتسبة) فكانت موزعة بين عدة أشخاص، الواحد منهم حكيم، والآخر محب للعدل، والثالث يكون له جودة استنباط، والرابع يكون له جودة رؤية، والخامس يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين، والسادس يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب، وكان أولئك الرجال متلائمين، كانوا هم الرؤساء الأفاضل.[2]

4 / 1 ـ الصفات الفطرية في القائد:

والراجح أن الفارابي كان من أنصار نظرية السمات في بداية الأمر،[3] فهو القائل: "والرياسة تكون وتحصل لِمَنْ فطر بالطبع عليها".[4] وليس هذا وحسب، بل إن العناصر التي وضعها لصفات القائد هي صفات أو سمات بمعنى الكلمة، وهي أقرب منها إلى الفطرة والطبع، إذ يرى فيلسوفنا أن كل عضو من أعضاء المدينة الفاضلة لا يصلح أن يكون رئيسًا لهـا، بل إن رئيس المدينة هو أكمل إنسان أو عضو فيها.[5] أما

1- مصطفى سيد أحمد صقر، نظرية الدولة عند الفارابي: دراسة تحليلية تأصيلية لفلسفة الفارابي السياسية.- المنصورة: مكتبة الجلاء الجديدة، 1989. ص 75.

2- موسوعة الإدارة العربية الإسلامية.- القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2004. (المجلد الثاني، ص272 - 274).

3- شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 11.

4- الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 101.

5- محمد جلال شرف؛ وعلي عبد المعطي محمد، خصائص الفكر السياسي في الإسلام وأهم نظرياته.- الإسكندرية: دار الجامعات المصرية، 1975. ص 260.

هذه الصفات أو الخصائص فقد حددها الفارابي بالآتي:[1] (أن يكون تام الأعضاء – أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له –أن يكون جيد الحفظ لما يراه ولما يسمعه ولما يدركه – أن يكون جيد الفطنة ذكيًا – أن يكون حسن العبارة، يؤتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره – أن يكون محبًا للتعليم والاستفادة، منقادًا له – أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح – أن يكون محبًا للصدق وأهله مبغضًا للكره وأهله – أن يكون كبير النفس محبًا للكرامة – أن يكون الدرهم والدينار وسائر أغراض الدنيا هينة عنده – أن يكون بالطبع محبًا للعدل وأهله ومبغضًا للجور والظلم وأهلهما – أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل).

هذه هي صفات الرؤساء الأفاضل والتي بهم تتحقق السعادة وينالها أفراد المدينة الفاضلة، والناس الذين يدبرون برئاسة هذا الرئيس هم الناس الفاضلون والأخيار والسعداء، وإن كانوا أمة فتلك هي الأمة الفاضلة،[2] بما معناه أن هذه هي صفات القيادة الفاعلة والتي بها تتحقق وتنجز الأهداف من قبل التنظيم الذي يرأسونه، والأفراد الذين يعملون أو يدارون تحت لواء هذه القيادة هم الناس الناجحون حتمًا، والتنظيم الذي يرأسه هو التنظيم الناجح والفاعل.[3]

4 / 2 ـ الصفات المكتسبة في القائد:

لقد أدرك الفارابي أن مثل هذه الصفات أو السمات من الصعب تحققها في شخص ما في وقت من الأوقات، لا أشار الفارابي إلى ذلك بالقول:[4] "وإن اتفق أن لا يوجد مثله في وقت من الأوقات أخذت الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس وأمثاله". وهذا

1- الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 101.
2- الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص 68.
3- شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 12.
4- الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 107.

يعني أنه يُفعّل دور النظرية الثانية من نظريات القيادة، تلك التصرفات الواجب اتباعها للقيادة الفاعلة، أي أنه عمل على وضع شروط إرادية هي أقرب إلى المعايير السلوكية منها إلى السمات أو الخصائص،[1] تلك هي:[2] (أن يكون حكيمًا - أن يكون حافظًا للشرائع التي دبرها الأولون - أن يكون له جودة الاستنباط فيما لا يحفظ عن السلف في الشريعة - أن يكون له جودة ورؤية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التي تحدث مما ليس سبيلها أن يسير بها الأولون - أن يكون له جودة إرشاد للقول إلى شرائع الأولين وإلى التي استنبطت بعدهم ممن احتذى فيها حذوهم - أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب).

ولقد أطلقت تسمية الرئيس الثاني أو الرؤساء الثواني على القادة الذين يتمعون بهذه الصفات، أي الذين ينطلقون من النظرية السلوكية في القيادة،[3] ولقد أسهب وأطنب الفارابي لاحقًا في مؤلفاته الأخرى في الكلام عن التفصيل بالآليات السلوكية اللازمة لهذه القيادة، إذ خصص في مؤلفه "رسالة في السياسة الشرعية" فصولاً فيما ينبغي أن يستعمله المرء مع رؤساءه، وفيما ينبغي للمرء أن يستعمله مع أكفائه، وفيما ينبغي أن يستعمله مع مَنْ هو دونه،[4] كل ذلك في سبيل خلق وبناء القيادة الفاعلة والناجحة في التنظيم أيًا كان.

4 / 3 ـ مراتب القيادة:

ومن الإشارات المهمة فيما يخص مفهوم القيادة عند الفارابي أيضًا هو إيمانه باختلاف مستويات القيادة وفاعليتها، وربما كان لذلك ما هو مرتبط بإيمانه بصعوبة

1- صقر، نظرية الدولة، ص 78.
2- الفارابي، المدينة الفاضلة، ص 107.
3- شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 12.
4- الفارابي، رسالة في السياسة الشرعية: مجموعة رسائل/ تحقيق: محمد حسن الشافعي، وأحمد فريد المزيدي.- بيروت: دار الكتب العلمية، 2003. ص 67 - 76.

وجود القائد الأمثل، وكذلك ما هو مرتبط بتصوره عن الشكل الهرمي للمدينة الفاضلة (التنظيم الناجح والفاعل)،[1] فيقول الفارابي في هذا الشأن:[2] "إنه ليس في قوة كل إنسان أن يرشد غيره، وليس في قوة كل إنسان أن يحمل غيره على الأشياء التي يريدها، ومَنْ لم يكن له القدرة على أن يُنهض غيره نحو شيء من الأشياء أصلاً ولا أن يستعمله فيه، وكان إنما له القدرة على أن يفعل أبدًا ما يرشد إليه، لم يكن هذا رئيسًا أصلاً ولا في شيء، بل يكون مرءوسًا أبدًا وفي كل شيء. ومَنْ كانت له قوة على أن يرشد غيره إلى شيء ما ويحمله عليه أو يستعمله فيه فهو رئيس في ذلك الشيء على الذي ليس يمكنه أن يفعل ذلك الشيء من تلقاء نفسه، ولكن كان إذا أرشد إليه وعلمه فعله، ثم كانت له قدرة على أن ينهض غيره نحو ذلك الشيء الذي علمه وأرشد إليه ويستعمله فيه، كان هذا رئيسًا على إنسان ومرءوسًا من قبل إنسان آخر، والرئيس قد يكون رئيسًا أولاً وقد يكون رئيسًا ثانيًا، فالرئيس الثاني هو الذي يرأسه إنسان ويرأس هو إنسان آخر، والرئيس الأول على الإطلاق هو الذي لا يحتاج ولا في شيء أصلاً أن يرأسه إنسان".

وبذلك يقسم الفارابي القيادة إلى مراتب ثلاث؛ (العليا) تلك التي تصدر الأوامر ولا تتلقاها من أحد في التنظيم، و(الوسطى) تلك التي تتلقى وتصدر الأوامر في الوقت نفسه، و(الدنيا) تلك التي تتلقى الأوامر وحسب، وهذا يتفق مع أحدث الكتابات المعاصرة في مجال نظرية التنظيم والقيادة،[3] وهذا التقسيم الواضح لمستويات القيادة نراه يتكرر بشكل متلازم كلما استدعت الفكرة لذلك، وأن الأفراد في تنظيمه يقسمون إلى رؤساء وأكفاء ومرءوسون، وأنه في كل تنظيم لابد من وجود هذه الرتب.[4]

1- شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 12.

2- الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص 66.

3- شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي"، ص 13.

4- الفارابي، السياسة الشرعية، ص 60.

الاستنتاج:

من خلال ما تقدم من عرض يمكن استنتاج أهم مساهمات الفارابي في الإدارة، وهي:

- بين مبدأ التسلسل الرئاسي كمبدأ من مبادئ التنظيم حين قال بأن المدينة الفاضلة لها رئيسها ويكون تحته "مراتب رئاسات تنحط عن الرتبة العليا قليلاً قليلاً إلى أن تصير مراتب الخدمة التي ليس فيها رئاسة ولا دونها مرتبة أخرى".
- حدد سمات القيادة المثالية بنوعين: فطرية ومكتسبة، "ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق" فإن الرئاسة إنما تكون بشيئين: أحدهما يكون بالفطرة والطبع معدًا لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية.
- ذكر الفارابي اثنتي عشرة خصلة للقيادة تكون بالفطرة، وهي أن يكون القائد: تام الأعضاء، جيد الفهم والتصور، جيد الفطنة وذكيًا، حسن العبارة، مجدًا للتعليم، غير شره على المأكول والمشروب، محبًا للصدق، ومبغضًا للكذب، كبير النفس ومحبًا للكرامة، يهون عليه الدرهم والدينار، محبًا للعدل ومبغضًا للجور، عدلاً غير صعب القياد، قوي العزيمة على ما يجب عمله.
- ذكر الفارابي ست خصال مكتسبة في القائد وهي: أن يكون حكيمًا، وعالمًا بالشرائع والسنن، له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف، وله جودة استنباط لما يعرف من الأمور والحوادث الحاضرة، وله جودة رشاد بالقول إلى شرائع الأولين، وله جودة ثبات ببدنه في مباشرة الحروب.

الخلاصة:

لقد ظهرت أهم الدراسات التي أثرت في الفكر الإداري الإسلامي في عصر انحلال الدولة الإسلامية مستهدفة تقويم الفساد الإداري الذي استشرى في سائر أرجائها، وإرشاد المسئولين إلى ما ينبغي عمله في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية. وتحفل المخطوطات الإسلامية بالتراث الفكري في مختلف مجالات الإدارة، سواء منها ما يتعلق بدراسات متخصصة في موضوعات معينة كالإدارة الحكومية والإدارة المكتبية والإصلاح الإداري، أو ما يتعلق بمدارس فكرية اجتماعية وسلوكية ومثالية.[1] فقد سبقَنا علماءُ الإدارة في الغرب إلى الإشارة بل والإشادة في دراساتهم الحديثة للفكر الإداري وأطواره برواده من المسلمين أمثال الفارابي، الذي أشاد به عالم الإدارة الأمريكي "كلود جورج" لتحليله صفات القيادة الفاضلة،[2] فقال عنها في كتابه تاريخ الفكر الإداري "يا لها من قائمة نموذجية للسمات اللازمة للمدراء المعاصرين".

1- أشرف صالح محمد، "الإدارة المكتبية عند الرواد المسلمين".- مجلة الوعي الإسلامي (الكويت).- ع590 ؛ أغسطس 2014. ص 88.

2- حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن.- القاهرة: دار الفكر العربي، 1990. ص236.

المنهج العلمي عند البيروني ورؤيته للتاريخ

"وتقدير البيروني حق قدره والاعتراف له بكل فضله يحتاج إلى عمل أجيال من الباحثين ينكبون على تراثه بحثًا وتحقيقًا"

المستشرق الألماني

سخاو (1845 – 1930)

مقدمة:

وسط دياجير الظلام الفكري والعقائدي الذي كان يسود العالم القديم بزغت الحضارة الإسلامية لمدة خمس قرون من عمر الزمن، زهت فيها هذه الحضارة، وكان المسلمون خلالها قوة لا يستهان بها، بينما كانت هناك شعوب أخرى تغرق في قيود العبودية والقهر والجهل. وقد ظهر تحت سماء هذه الحضارة علماء بل هم عباقرة الفكر الإسلامي الثقافي الذين أصبحوا نجومًا زاهرة وزاخرة في سماء الإنسانية.

ومن بين هؤلاء العلماء يقف العالم الجليل "البيروني" – وهو من علماء القرن الحادي عشر– متميزًا، حيث فاق علماء عصره فقد كان طبيبًا وفلكيًا وفيلسوفًا ورياضيًا وشاعرًا وفيزيائيا وكيميائيًا وجغرافيًا ومؤرخًا. اشتهر في كثير من العلوم وكانت له فيها ابتكارات وبحوث مستفيضة. والغرض من هذا البحث هو استبيان منهج هذا المؤرخ من خلال قراءة لأحد أعماله وهو كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" الذي يحتوي على تاريخ نظم الجماعات والطوائف المختلفة وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا ليقف القارئ على دور الأستاذ أو الشيخ "البيروني" في علم التاريخ.

1 ـ حياة البيروني وثقافته:

ولد محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي في الثانية من ذي بالحجة سنة 362هـ/ 4 أيلول 973م في بلدة بيرون[1] وهي عاصمة خوارزم (التركستان) ومنها

1– بطرس البستاني، موسوعة الحضارة العربية، دار كلمات للنشر، ب.ط، ب.م، ب.ت، ص613.

جاءت نسبته البيروني التي اشتهر بها والتي أعطته بعد تحريفها اسم اليبورون Aliboron وهو الاسم الذي اشتهر به في أوربا خلال العصر الوسيط.[1] ولكننا نجد أن ياقوت الحموي استعمل اسم البيروني مرة واحدة فقط،[2] وقد ذكر ياقوت أنه عندما سأل بعض الفضلاء عن لقب البيروني أجابوه أن المراد بهذا اللقب عند أهل خوارزم أنهم يطلقونه على الغريب، ولأن الخوارزمي كان مقامه قليل بخوارزم فكأنه لما طالت غربته عنهم صار غريبًا. ويظن ياقوت أن المراد بهذا اللقب عند أهل الرستاق كان يعني أنه من خارج البلاد.[3] ومما يؤسف له أن العلماء المحدثين يستعملون اسم الخوارزمي على الرغم من أن ذلك يسبب الالتباس.[4]

نشأ البيروني في أسرة بسيطة أتاحت له مجال التعلم، وكان حاسدوه يلقبونه بابن الضاحية.[5] ولقد انكب البيروني في الفترة الأولي من حياته وحتى سن الثانية والعشرين على الدراسات العلمية ولأنه كان أحد أنصار خوارزم شاه فقد حظي بمكانة عنده، وعقب وفاة الأخير هاجر البيروني خارج حدود وطنه.[6] حيث أتجه إلى سواحل بحر قزوين (الخزر) إثر هذا الانقلاب السياسي، [7] فوصل إلى جرجان في عام385هـ

1- إدوارد بروي، تاريخ الحضارات العام، تحقيق . يوسف أسعد- فريدوم داغر، م3، عويدات للنشر، ط4، بيروت1998،ص227.

2- دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص1، ب.م، 1998، ص 1573.

3- ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج5، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت1991، ص122.

4- دائرة المعارف، ص 1573.

5- محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، المؤسسة العربية للنشر، ط1، بيروت1993، ص100.
لا تذكر المصادر شيئاً عن أسرة البيروني أو عن صباه ، ولكن تذكر أنه درس على ثلاثة أساتذة وهم : أبو نصر بن عراق، وأبو سهل بن يحيى المسيحي، وأبو الحسن بن علي الجبلي.

6- البيروني، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، مقدمة المحقق، تحقيق ب. بولجاكوف، معهد المخطوطات العربية، ط2، القاهرة 1995 ، ص9.

7- محمد فارس، المرجع السابق، ص100.

وقضى بها خمسة عشر عام.[1] ولقد كان قابوس بن وشميكر (976-1012) حاكم جرجان أديبًا متعلم، وكان يضم مجلسه الكثير من الحكماء العظام ما لم يجتمع عند غيره،[2] ورغم ذلك كان قابوس جائر على رعيته، وقد أهداه البيروني كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية).[3] ولقد جمع بلاط قابوس بين البيروني وابن سينا وكان هناك العديد من المراسلات التي جرت بينهما.[4] ويذكر البعض أن العلاقة بينهما في بلاط قابوس كانت غير وثيقة بل أن صداقة البيروني كانت مع الطبيب الفلكي النصراني أبو سهل عيسى،[5] ويذكر البعض الآخر أن الخلاف نشأ بينهما بسبب سياسي يرجع إلى أن ابن سينا لا يميل إلى محمود الغزنوي فاتح الهند لكراهيته للفلسفة.[6]

عاد البيروني إلى خوارزم سنة (400هـ/ 1009م) واسترد مكانته في بلاطها إلا أنه شهد بعد قليل سقوط هذا البلاط سنة (408هـ/ 1017م).[7] وأخذت الدسائس والمؤامرات السياسية تتقاذف البيروني حتى احتل محمود الغزنوي مدينة خوارزم وحمل معه البيروني وزملائه أسرى لديه. ولقد كان السلطان محب ونصير للعلوم،[8] ولذلك عندما فكر في فتح الهند اصطحب معه العلماء ومن بينهم البيروني، ولقد استفاد البيروني من إقامته الطويلة في الهند، فجاء على لسان المستشرق سيديو: أن

1- البيروني، المصدر السابق، ص9.

2- عبد الرحمن حميده، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط1، دمشق1984، ص140.

3- محمد فارس ، المرجع السابق، ص100.

4- زهير حميدان، أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، م2، مكتبة الأسد، ب.ط، دمشق 1995، ص63.

5- ألدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ت. عبد الحليم البخار- محمد يوسف، دار القلم، ط1، القاهرة1962، ص191.

6- محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المشرق، دار الثقافة، ب.ط، القاهرة 1991، ص219.

7- غوستاف لوبوف، حضارة العرب، ت.عادل زعتير، ب.د، ب.ط، القاهرة 1969، ص467.

8- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ت. بنيه أمين – منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت1948، ص267.

أبو الريحان البيروني اكتسب معلوماته في محيطه، ثم نزل بين الهنود، حين أحضره الغزنوي فأخذ منهم الروايات المحفوظة لديهم، القديمة والحديثة، وأفادهم من اكتشافاته أبناء وطنه وألف ملخصات هندية وعربية. وكان مشيرًا للغزنوي، واستعد لإصلاح الأغلاط الباقية في حساب الروم والسند وما وراء النهر.[1] وهكذا كان البيروني واسطة العقد بين الإسلام والهند بعد أن نقل إليهم ما كان عند المسلمين من علوم.[2]

ولقد مر البيروني بتجربة حياتية قاصية وقاسية خلال حكم محمود الغزنوي، إلى أن تحسنت أحواله في عهد السلطان مسعود بن محمود، حيث زار البيروني مسقط رأسه،[3] كما شجعه السلطان مسعود على تأليف الكتب العلمية.

ومن خلال العرض السابق والمختصر لحياة العالم الجليل البيروني يتضح لنا؛ أن هناك أشياء متعددة قد أثرت في شخصيته، فلقد كان يتمتع بصفات تميزه فهو صاحب خلق قويم وصدر رحب وواسع الأفق. وقد كان البيروني شغوفًا بالعلم فلم يكن يترك من يده القلم أو يرفع بصره عن كتاب أو يسمح لفكره أن ينشغل عن حل المسائل والمشكلات.[4]

ولقد حرص البيروني في أن يتعلم على يد أستاذه في أماكن وبقاع مختلفة.[5] وعلى أية حال؛ فقد كان نتيجة حب البيروني للعلم أن أصبح مؤرخ وأديب وعالم بالرياضيات والطبيعيات والفلك والطب والفلسفة والتصوف والأديان.[6] كما تعلم

1- يوسف فرحات، علماء العرب، ترادكسيم، ط1، جنيف 1986، ص91؛ قدري حافظ طوقان، العلوم عند العرب، دار اقرأ، ب.ط، ب.م، ب.ت، ص173.

2- ماهر عبد القادر محمد، التراث والحضارة، دار النهضة العربية، ب.ط، بيروت، ب.ت، ص 159.

3- محمد فارس ، المرجع السابق، ص 101.

4- سمير عرابي، علوم الكيمياء والطبيعيات عند علماء العرب والمسلمين، دار الكتاب الحديث ط1، القاهرة 1999، ص 71.

5- عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، ب.ط، بيروت 1977، ص417.

6- الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، ط2 ، القاهرة 2001 ، ص 636.

العديد من اللغات مثل السنسكريتية وعدد من لغات الهند وكذلك العبرية والسريانية، وكذلك أطلع على الفلسفة اليونانية.[1] وعلى الرغم من أن البيروني لم يكن عربيًا إلا أنه كان مقتنعًا بأن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة الجديرة بأن تكون لغة العلم، وقد نُسب إليه أنه قال : "إن الهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية".[2]

وقد كان البيروني محبًا للعلم حتى آخر لحظات حياته، فيذكر ياقوت الحموي راويًا عن النيسابوري، "دخلت على أبى الريحان وهو يجود بروحه وقد تحشرج نفسه وضاق به صدره قال: قلت لي يومًا حساب الجدات فاسد: قلت إشفاقًا عليه : أفي هذه الحالة، قال لي يا هذا، أودع الدنيا، وأنا أعلم بهذه المسألة، آلا يكون خير من أن أخليها من أن أخليها وأنا جاهل بها، فأعدت عليه ذلك وحفظه، وخرجت من عنده وأنا في الطريق سمعت الصراخ".[3]

وهكذا؛ وتوفي البيروني في 3 رجب سنة 440 هـ/ الموافق 13 كانون الأول 1048م في غزنة على الأرجح، وكانت وفاته خاتمة حياة حافلة لرجل كريم وعظيم.[4]

2 ـ مؤلفات البيروني:

ذُكر أن البيروني عاش في عزلة نافت على الثلاثين عاما صنف خلالها أروع مؤلفاته،[5] والتي بلغت بين كتب ورسائل المائة والعشرين، نقل بعضها إلى لغات

1- خليل بدوي، موسوعة العلماء والمخترعين، دار أسامة، ط1 ، عمان 1999 ، ص107.
2- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ط2، الرياض 1999، ص431.
3- أنور الجندي، القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، مطبعة الرسالة، ب.ط، ب.م، 1969، ص106.
4- شاكر خصباك، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، دار الإسلام، ب.ط، بغداد 1979، ص125.
5- زهير حميدان، المرجع السابق، ص 240.

مختلفة لينهل منها الكثيرون في دراساتهم العلمية والتاريخية.[1] وقد استخدم البيروني اللغة العربية في كتابته علمًا بأن لغته الأم هي اللغة الفارسية.[2] وفي ذلك يقول ماتيسون: "لقد فهم البيروني تمام الفهم الدور العلمي الذي تلعبه اللغة العربية بوصفها بين اللغات السامية، وأدرك مقدرتها على التركيز والتجريد وقيمتها في توحيد المتكلمين بها".[3] وعن مؤلفاته يذكر البيهقي في كتابه (تاريخ حكماء الإسلام) "أن تصانيف البيروني قد زادت على حمل بعير"، وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر".[4]

ومن أهم وأشهر مؤلفات البيروني؛ كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" وهو كتاب جامع في تاريخ الهند الحضاري والثقافي، وترجع قيمة الكتاب إلى أن البيروني اعتمد على المشاهدة والرحلة والتجربة الشخصية.[5] وكتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" ويضم وصف كامل لمختلف التوقيتات والأعياد عند أمم كثيرة مختلفة الديانات.[6] وكتاب "القانون المسعودي" ويحتوي بشكل موجز لمجمل علم الفلك مع حساب التوقيت وحساب المثلثات والرياضيات والجغرافيا.[7] وكتاب "الصيدلة في الطب" وهو آخر أكبر مؤلفاته وقد صنفه بعد أن

1- سمير شيخاني، صانعوا التاريخ، ج1، مؤسسة عز الدين للنشر، ب.ط، بيروت1996، ص225. وقيل أن عدد مؤلفاته 150 كتابًا وقد ذكر البيروني أغلبها في رسالته المعروفة بالفهرس.

2- معجم العالم الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1991، ص 164.

3- أنور الجندي، المرجع السابق، ص 106.

4- زهير حمدان، المرجع السابق، ص 240.

5- السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة، ب.ط ، بيروت1986، ص195؛ أدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ت. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، ب.ط، بيروت 1967، ص 385؛ موريس شريل، موسوعة علماء الكيمياء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1991، ص82.

6- محمد فارس، المرجع السابق، ص 102.

7- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو، ط5، القاهرة 1986، ص539.

درس كتاب الـرازي بالصيدلة ولم يجده كافيًا وافيًا.[1] وكتاب "الجماهر في معرفة الجواهر" ويعالج فيه بشكل أساسي الأحجار الكريمة وبعض أوزانها النوعية.[2] وكتاب "التفهيم في صناعة التنجيم" وهو من مقدمات علم الهيئة والهندسة والنجوم بطريقة السؤال والجواب.[3] وللبيروني كتب ورسائل ومقالات أخرى ذات أهمية كبيرة.[4] ولقد وجدت ترجمات كتبها البيروني لنصوص سنسكريتية مثل ترجمته لكتابين من مؤلفات فراهميرا وهو فلكي هندي من القرن السادس الميلادي.[5]

والجدير بالذكر؛ أن للبيروني إنجازات سبق بها غيره في كثير من المجالات، ففي علم الفلك أعلن أن الأرض هي التي تدور حول الشمس وتدور حول محورها كما ضبط أبعاد خطوط والعرض.[6] وكان له أراء خاصة في توزيع البحار وإحاطتها بالأرض، وقد سبق عصره بقوله أن وادي السند كان قاع بحر.[7] كما وصف الفلزات

1- سمير عرابي، علوم الأدوية والصيدلة عند علماء العرب والمسلمين، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة 1999، ص43؛ هيكل نعمة الله - الياس مليمة، موسوعة علماء الطب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت1991، ص 252.
2- شاكر مصطفي، التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، دار العلم للملايين، ط3، بيروت 1987، ص99.
3- أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، ب.ط، ب.م، ب.ت، ص139 ؛ محمد فارس، المرجع السابق، ص 103.
4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، ب.ط ، بيروت، ب.ت، ص459.
5- الدوميلي ، المرجع السابق، ص 189.
6- إبراهيم سليمان الكروي، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، ب.ط، الإسكندرية 1999، ص323؛ أحمد عبد الرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة 1991، ص84؛ أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، دار الطباعة المحمدية، ط2، القاهرة 1962، ص315.
7- أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف، ط2، القاهرة 1984، ص118.

وبحث في السبائك وذكر طرق تحضير بعض المركبات والتي تستخدم حتى الآن.[1] وفي مجال الرياضيات قسم الزاوية ثلاثة أقسام متساوية، وكان له معرفة بعلم المثلثات بشكل عام وبقانون تناسب الجيوب بشكل خاص.[2] وفي مجال العلوم الطبيعية أوجد الوزن النوعي لثمانية عشر عنصر بسيط ومركب.[3] والخلاصة؛ أن مؤلفات البيروني من كتب ورسائل كانت في مجالات مختلفة من أهمها:

- كتاب مقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسيطة الكرة.
- كتاب القانون المسعودي في الهيئة والنجوم.
- كتاب استخراج الأوتار في الدائرة.
- كتاب استيعاب الوجوه الممكنة في صفة الإسطرلاب.
- كتاب العمل بالإسطرلاب.
- كتاب التطبيق إلى حركة الشمس.
- كتاب كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب.
- كتاب في تحقيق منازل القمر.
- كتاب جلاء الأذهان في زيج البتان.
- كتاب الصيدلية في الطب.
- كتاب رؤية الأهلة.
- كتاب جدول التقويم.
- كتاب مفتاح علم الهيئة.

1- موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المجلد الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت1987، ص47.

2- كامل حمود، تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت 1990، ص143.

3- السيد عبد العزيز سالم، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مكتبة الأنجلو، ط2، القاهرة 1982، ص130؛ عصام الدين عبد الرءوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، ب.ط، القاهرة 2001، ص384.

- كتاب تهذيب فصول الفرغاني.
- مقالة في تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمورة من الأرض.
- كتاب إيضاح الأدلة على كيفية سمت القبلة.
- كتاب تصور أمر الفجر والشفق في جهة الشرق والغرب من الأفق.
- كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم.
- كتاب المسائل الهندسية.

3 ـ موضوعات كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية":

كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" هو أشهر كتب البيروني وأغزرها مادة وأغناها ثقافة، ألفه البيروني لشمس المعالي قابوس بن وشمكير وأتمه سنة 390هـ، والكتاب أشبه بالموسوعة الثقافية الجامعة والتي من مشتملاتها البحوث الفلكية والتاريخية القيمة[1] وإذا أردنا أن نحدد قيمة هذا الكتاب بدقة فنقول أنه احتوى على التقويم عن الأمم القديمة، كما اعتمد فيه البيروني على الدراسة المقارنة والوصفية لحقب مختلفة من التقويم، بالإضافة لاحتوائه على قدر كبير من المعلومات المتعلقة بتاريخ الأديان ومأثورات الشعوب، وبهذا يعد الكتاب الأول من نوعه في الفكر العالمي كما أنه لا يزال يتمتع بقدر كبير من الأهمية من الزاوية التاريخية.[2]

والجدير بالإشارة؛ أن الكتاب يمتاز بسلاسة الأسلوب ورقته، فقد استخدم البيروني عبارات سهلة شديدة الوضوح، كما أنه كان دقيقًا وحذرًا في اختيار ألفاظه،

1- حسين حمادة، تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، ب.ط، بيروت1987، ص201.
2- كامل حمود، المرجع السابق، ص151.

بالإضافة إلى أنه عبر عن فكرة كل فصل في أول فقرة منه، وبهذا جاءت فصول الكتاب في تناسق وتسلسل.

ونظرًا لأهمية الكتاب فقد نقل إلى لغات عدة وطبع في ليزج عام 1923.[1] ويشتمل الكتاب على مقدمة وعدة فصول جاءت مدعمه بالرسوم التوضيحية وبكم هائل من الجداول الزمنية المتعددة والمختلفة.

وفي المقدمة يوضح البيروني الأسباب التي دفعته إلى تصنيف كتاب (الآثار الباقية) وهي التعرف على التقاويم والتواريخ والاختلاف الحاصل فيها بين الأمم. فيقول: وبعد فقد سألني أحد الأدباء عن التواريخ التي يستعملها الأمم، والاختلاف الواقع في الأصول التي هي مبادئها.. والفروع التي هي شعورها.. والأسباب الداعية لأهلها إلى ذلك، وعن الأعياد المشهورة، والأيام المذكورة للأوقات والأعمال وغيرها مما يعمل عليه بعض الأمم دون بعض واقترح الإجابة على ذلك.[2] ثم يحدد البيروني بعد ذلك منهجه العلمي القائم على الأخذ عن السلف، مع النقد العلمي الصحيح المجرد عن الهوى ثم إظهار أن التعصب عند الكتاب وعدم التزامهم بالموضوعية هو الذي يحول دون تقريرهم الحق.

أما بالنسبة لفصول الكتاب فيمكننا التعرض لها على النحو الآتي:

القول في مائية اليوم بليلته ومجموعهما وإبتدئهما

ويتناول فيه البيروني اليوم والشهر والسنة عند مختلف الأمم، فاليوم عند العرب يبدأ منذ الغروب وذلك لأن الشهور عندهم تبدأ مع ظهور الأهلة ولا تبني على الحساب. فيقول: " أن العرب .. صار اليوم عندهم بليلته من لدُن (الغروب).. والذي دعاهم إلى ذلك هو أن

1- سيدة إسماعيل الكاشف، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مكتبة الخانجي، ب.ط، القاهرة 1976، ص45.

2- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحرير إدوار سخاو، ليبزج 1923، ص4.

شهورهم مبنية على مسير القمر مستخرجة من حركاته المختلفة، وأوائلها مقيدة برؤية الأهلة لا حساب".[1] أما بالنسبة للفرس فيجعلون بدء اليوم عند طلوع الشمس لأن " شهورهم مستخرجة بالحساب غير متعلقة بأحوال القمر ولا غيره من الكواكب".[2] ثم يصل في النهاية لنتيجة مؤداها وجوب الاعتماد على اليوم كوحدة زمنية ثابتة لأن الشهور والسنين يختلف مقدارها باختلاف الأمم. فيقول: " اليوم .. هو من طلوع جرم الشمس إلي غروبه والليل بخلاف ذلك وعكسه، بتعارف الناس قاطبة فيما بينهم .. واتفاق .. لا يتنازعون فيه".[3]

القول في مائية ما يركب منها من الشهور والأعوام

ويتصدى فيه البيروني لموضوع التقاويم عند مختلف الأمم القديمة، وما أصابها من التعديل والتغيير، مدعمًا ذلك بجداول تفصيلية للأشهر الفارسية والعبرية واليونانية والهندية والتركية. كما تحدث عن تقسيم السنة إلى سنتين؛ شمسية وقمرية، فيقول: " وفي هذه المدة أعني عودة الشمس في فلك البروج، يستوفي القمر اثنتي عشر عودة وأقل من نصف عودة ويستهل اثنتي عشرة مرة. فجعلت تلك المدة.. في فلك البروج سنة القمر.. فصارت السنة عند الناس سنتين: سنة شمسية وسنة قمرية".[4] وعلى أثر هذا اعتمدت بعض الأمم على السنة الشمسية ومقدارها 365 يومًا مثل "أهل قسطنطينية والإسكندرية ... وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون وأهل مصر"[5]، واعتمد البعض الأخر على السنة القمرية ومقدارها 354 يومًا مثل "العبرانيون واليهود وجميع بني إسرائيل والصابئون الحرانيون".[6]

1- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 5.
2- المصدر نفسه، ص 6.
3- المصدر نفسه، ص7.
4- المصدر نفسه، ص10.
5- المصدر نفسه، نفس المكان.
6- المصدر نفسه، ص11.

القول في مائية التواريخ واختلاف الأمم فيها

ويتعرض فيه البيروني للتواريخ القديمة للأمم معددًا ومعللًا بدايتها فيقول: "والتأريخ هي مدة معلومة تعد من لدُن أول سنة ماضية كان فيها مبعث نبي بالأديان.. أو قيام ملك مسلط عظيم الشان أو هلاك أمة .. أو انتقال دولة أو تبدل ملة ..."[1] فذكر السنة الهجرية وبدايتها، حيث أن عمر بن الخطاب احتاج إلى تاريخ "ولم يحب التواريخ القديمة"[2] ثم استشار أهل الرأي فوقع الاختيار على هجرة الرسول كبداية للتاريخ الجديد وذلك لأنها "أظهر الأوقات وأبعدها من الشبه والآفات".[3] ثم أدرج جداول تاريخية تغطي مرحلتي ما قبل الميلاد وبعده للملوك الذين حكموا أشور، وبابل ، وملوك الكلدان، والأقباط، واليونان.

القول في اختلاف الأمم في مائية الملك الملقب بذي القرنين

ويناقش فيه البيروني ماهية ذي القرنين في بلوغه مغرب الشمس ومشرقها، وما وصل إليه من رفعة الشأن، وبسطة الملك، ونفاذ الأمن، في تعذيب الكافرين، والإحسان إلى المؤمنين، فأمره كان نافذًا في المغرب والمشرق. فيقول: "أنه كان رجلًا صالحًا شديدًا قد أعطاه الله من السلطان والقدرة أمرًا عظيمًا ومكنه من مقاصده في المشارق والمغارب من فتح المدن وتدويخ البلاد وتذليل العباد وجمع الملك يدًا واحدة ودخول الظلم في الشمال بالإجماع ومشاهدة أقاص العمران...".[4]

1- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 13.
2- المصدر نفسه، ص30.
3- المصدر نفسه، نفس المكان.
4- المصدر نفسه، ص 36.

القول على الشهور التي تستعمل في التواريخ المتقدمة

ويواصل فيه البيروني الحديث عن تواريخ الأمم القديمة واختلاف هذه الأمم في أوائل الشهور وكمية الأيام. فيقول: "قد ذكرت .. أن كل أمة تستعمل تاريخًا تنفرد به وعلى حسب افتراقهم في استعمال التواريخ يفترقون في أوائل الشهور وكمية أيام كل واحد منها والعلل المنسوبة إليها".[1] فيتقصى بذلك عدد الشهور وعدد الأيام مع ذكر أسمائها عند بعض الأمم.

القول في استخراج شهور بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد ملكهم على اختلاف الأقاويل

وقد أحصى فيه ملوك الفرس منذ نشأة المملكة الفارسية حتى نهايتها بالفتح الإسلامي مع تدعيم هذا كله بجداول تاريخية.

القول على الأدوار ومواليد السنين والشهور وكيفياتها وكبائسها في سني اليهود وسائر السنين.

وفيه أدرك البيروني ضرورة الوقوف على سنين اليهود لمعرفة تاريخ آدم عليه السلام، فيقول: " وإذ تبين ما أوردناه من استخراج التواريخ بعضها من بعض ولم يبق منها إلا تاريخ آدم عليه السلام وتاريخ الطوفان.. فيلزمنا إلى معرفتهما .. معرفة سني اليهود وشهورها وأدوارهم وأوائل سنيهم ونتبعها معرفة أوائل سني غيرهم...".[2]

1- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص42.
2- المصدر نفسه، ص 144.

القول في تواريخ المتنبين وأممهم المخدوعين عليهم لعنة رب العالمين.

وفيه يتناول البيروني تاريخ المتنبين الذين خدعوا أممهم. فيقول : "فقد خرج فيما بين ما أوردناه من الأنبياء والملوك نفر من المتنبين يقصر الكتاب عن تعدادهم والابان عن أخبارهم فمنهم من هلك غير متبع ولم يبق إلا الذكر بعده فقط ومنهم من اتبعه أمة وبقيت نواميسه عندها وهم يستعملون تاريخه".[1]

- القول على ما في شهور الفرس من الأعياد.
- القول على ما في شهور السغذ من الأعياد.
- القول على ما لأهل خوارزم في شهورهم من مثل ذلك.
- القول على مذهب خوارزم شاه في أعياد أهل خوارزم.
- القول على ما في شهور الروم من الأيام المعلومة عندهم وعند غيرهم.

وبحث فيهم البيروني موضوع الأعياد عند بعض الأمم محددًا أسماءها وتواريخها، وهي أمم الفرس والصغد والخوارزميين والروم. فعن قصة عيد النيروز الكبير عند الفرس يقول: "قال بعض الحشوية أن سليمان بن داود عليهما السلام لما افتقد خاتمه وذهب عنه ملكه ثم رد إليه بعد أربعين يوم عاد إليه بهاؤه واتته الملوك وعكفت عليه الطيور فقالت الفرس نوروز آمد أي جاء اليوم الجديد فسمي النوروز".[2]

أما بالنسبة للصغد والخوارزميين فقد كانوا متوافقين في أوائل السنين والشهور" ومخالفون للفرس فيها والعلة في ذلك هي بعينها وصف لأهل السغد ورسومهم فيها كانت شبيه برسومهم".[3] أما بالنسبة لسنة الروم فقد كانت "موافقة لسنة الشمس ثابتة مع فصولها الطبيعية دائرة معها بالتوازي غير زائلة ... قيد الروم والسريانيون ومن

1- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 204.
2- المصدر نفسه، ص 215.
3- المصدر نفسه، ص 235.

تابعهم أحوالهم الدائرة مع السنة وأحوال الأيام التي استخرجوها بتجاربهم على طول المدة وهي التي تُسمى الأنواء والبروج".[1]

- القول على ما يستعمله اليهود في شهورهم.
- القول على ما يستعمله النصارى الملكانية في الشهور السريانية.
- القول على صوم النصارى وما وقع اتفاق كلهم عليه من الأعياد الموصولة والأيام المترددة معه.
- القول على أعياد النصارى النسطورية وذكارينهم وصيامهم.
- القول على أعياد المجوس الأقدمين وصيام الصابئين وأعيادهم.

ويتابع فيهم البيروني الحديث عن الأعياد وكيفية الاحتفال بها عند كلًا من اليهود والسريان والنصارى النساطرة والمجوس والصابئة. فبعد أن تعرض البيروني لشهور اليهود وأيامهم وجد أنه من الضروري بيان "أعيادهم وأيامهم المشهورة فإن مع المعرفة بها نعاين العلة التي لأجلها لا يجوز أن يكون رأس السنة في أيا مفروضة".[2]

أما بالنسبة للنصارى فهم "مفترقون فرقًا؛ فالأولى منها الملكانية والروم وإنما سموا بذلك لأن ملك الروم على قولهم وليس بالروم سواهم، والثانية النسطورية منسوبون إلى نسطورس ... والثالثة اليعقوبية وهذه معاظم فرقهم"[3] وذكر أن صوم النصارى ثمانية وأربعون يومًا أولها يوم الأثنين وفطرهم يوم الأحد التاسع والأربعون من أول صومهم.[4]

ومن الملاحظ؛ أنه يركز على الصوم ومبادئه عند النساطرة واليعاقبة. أما بالنسبة للمجوس فهم "المجوس الأقدمون الذين كانوا قبل ظهور زرادشت، ولا يوجد مهم

1- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 242.
2- المصدر نفسه، ص 275.
3- المصدر نفسه، ص 288.
4- المصدر نفسه، ص 302.

ساذج لا يدين بما جاء به زرادشت... ولكنهم يذكرون أشياء قديمة ويضيفونها إلى دينهم"[1] وأما الصابئة فهم " المتخلفون من أسرى بابل... ولم يكونوا من دينهم بمكان معتمد، فسمعوا أقاويل المجوس وصبوا إلى بعضها فامتزجت بمذاهبهم من المجوسية واليهودية".[2]

القول على ما تستعمله العرب في الجاهلية

وقد عدد فيه الأشهر عند العرب وعددها 12 شهرًا وهي (محرم – صفر – ربيع الأول – ربيع الآخر– جمادى الأول – جمادى الآخر– رجب – شعبان – رمضان – شوال – ذو القعدة – ذو الحجة). وقد أوضح أن لأسماء هذه الشهور معاني، كما أن بعضًا منها كان يدل على أوقات من السنة. فيقول: " والمحرم كانوا يحرمون فيها القتال وسمي صفر صفرًا لوباء كان يعتريهم فيمرضون وتصفر ألوانهم ... ثم شعبان لانشعاب القبائل فيه إلى المناهل وطلب الغارات، ثم رمضان حيث بدأ الحسر وأرمضت الأرض وكانوا يعظمونه في الجاهلية".[3]

القول على ما يستعمله أهل الإسلام

وأوضح فيه استعمال المسلمون لشهور العرب، والشهور الحرم منها وهي (محرم – رجب – ذو القعدة – ذو الحجة) ، وقد حرم فيها القتال " لما قال الله تعالى ومنا أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم، وسموا شوال وذي القعدة والعشر (الأوائل) من ذي الحجة شهور الحج وهي التي قال الله فيها الحج أشهر معلومات...".[4]

1- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 318.
2- المصدر نفسه، ص 318.
3- المصدر نفسه، ص 325.
4- المصدر نفسه، ص 328.

القول على منازل القمر وطلوعها وسقوطها وصورها

وفيه ينهي البيروني كتابه بالحديث عن الفلك والنجوم والكواكب، فوضع أصول الرسم على سطح الكرة مما كان له أثر في تقدم الجغرافيا وسهولة رسم الخرائط الفلكية. فكتب يقول: "وقد آن نختم القول فقد أنجزنا الوعد من علم ما سئلنا عنه على قدر الوسع.. ولم يبق من استغراق هذا الفن إلا معرفة طلوع منازل القمر في أيام السنة الشمسية فإنه أمر يستعمل لما فيه من عموم المنفعة به في تقديم المعرفة بالأحوال الطبيعية التي لا تخلوا من الانتقال فيها والتردد بترددها. فلنصرف القول إلى ذكر جوامع ذلك وعيونهم ونضيف إليها نيفًا من أمثالها ملتقطة من الكتب المؤلفة بهذا المعنى".[1]

4 ـ المنهج العلمي عند البيروني ورؤيته للتاريخ:

أما فيما يتعلق بالمنهج العلمي الذي اعتمد البيروني في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" فنجده قد بلغ في هذا المجال مستوى جد متطور بالقياس إلى عصره، حيث أدرك بوضوح أن طبيعة الموضوع المعالج هي التي تحدد المنهج الملائم وليس العكس. [2]

ولقد أدرك البيروني بوضوح صعوبة عمله لأنه لن يتمكن شخص واحد من الإلمام بأخبار أمة واحدة، فكيف يتمكن من معرفة أخبار الأمم جميعها،[3] ولذلك نجد أن البيروني استخدم منهج في أبحاثه وكان من العسير تطبيق هذه المنهج "الكثرة

1- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 336.

2- كامل حمود، المرجع السابق، ص 145.

3- كامل حمود، المرجع السابق، ص 146.

الأباطيل التي تدخل جمل الأخبار والأحداث".[1] وعلى الرغم من صعوبة هذا المنهج إلا أن البيروني تمكن من تطبيق بعض الخطوات التالية:

(1) الموسوعية:

نجد أن البيروني كان يدرس ويبحث في مختلف العلوم حتى يستطيع الإلمام بالمعلومات التي تساعده على دراسة متعمقة. فنجده يتعلم اللغات العديدة حتى يستطيع الرجوع إلى المصادر الأصلية للاستفادة منها. كما أنه يقرأ ويبحث عن الشعوب التي يتناولها ليعرف طبيعة كل شعب، وذلك لأن هذا يساعده على فهم عاداته وتقاليده وأفكاره بل ومعتقداته وسياسته. فكان يتعلم في شتى المجالات وكان له قول مأثور هو "أن الله عالم كل شيء لا يسامح بالجهل".[2]

(2) المقـــارنة:

وفي الحقيقة؛ إذا كان علماء الأنثربولوجيا يؤكدون على استخدام المنهج المقارن ورفض الأحكام العامة على الطبيعة البشرية، فنجد أن البيروني أكد على ضرورة استخدام المقارنات وطبق ذلك في دراسته للتواريخ التي تستخدمها الأمم، وعمل مقابلتها ببعض. فيقول: "... ثم قياس أقاويلهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها ببعض...".[3] وكان يتوصل إلى نتائجه بالعمل المستمر وبالجهد الذي لا ينقطع مستخدمًا قوة ملاحظته وقدرته على الاستنتاج.[4]

1- البيروني، الآثار الباقية، ص5.
2- محمد فارس، المرجع السابق، ص 101.
3- البيروني ، المصدر السابق، ص5
4- أحمد مدحت إسلام، علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، دار الفكر العربي، ب.ط، القاهرة 1999، ص110.

(3) الموضوعية:

كان البيروني يدعو إلى التحرر من التقاليد التي تعمي عن رؤية الحقائق التاريخية، وإلى كبت الرغبات والدوافع الشخصية. فقد أقبل على البحث والتنقيب وكان إسلامه لا يمنعه من الإخلاص في الحكم على غير المسلمين.[1] وفي هذا الصدد يذكر رشيد الدين الهمذاني "أن المؤرخين المسلمين كانوا بوجه عام يظهرون نوعان من الازدراء المتعالي على الأجانب بوجه عام واليهود بوجه خاص، ولذلك كانوا يضنون بوقتهم الثمين على إنفاقه في دراسة الأخلاق والطقوس الخاصة بشعوب يعتبرونها من أهل الكفر".[2] ومعنى ذلك أن البيروني كان متميز في عصر اتسم بالتعصب الشديد وبالبعد عن الموضوعية، فنجده يؤكد على وجوب التزام الباحث بالحياد والتخلص من نزعاته وأهوائه وأحكامه القيمية على الأشياء والظواهر. فكتب عن ذلك يقول: " أن التوصل إلى الحقيقة يقتضي تنزيه النفس عن العوارض المردية أكثر الخلق، والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق وهي كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر وإتباع الهوى والتغالب بالرياسة وأشباه ذلك".[3]

(4) الأمانة العلمية:

من الملاحظ؛ أن مؤلفات البيروني تميزت بأمانة جعلته يذكر أفضال الآخرين ولا يتهرب من نسبة إنجازاتهم إليهم حتى ولو كان أضاف إليها الكثير. ومن زاوية أخرى؛ كان يدرس أراء السلف في كل علم لإدراكه أن المعرفة يتعاون فيها الماضي مع الحاضر حتى تنمو.

1- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، ب.ط، بيروت 1981، ص54.
2- الهمذاني، جامع التواريخ، تحقيق يحي الخشاب وآخرون، م 2/ج1، ب.د، ب.ط، القاهرة 1960، ص10.
3- البيروني ، الآثار الباقية، ص 5.

(5) النقد العلمي:

وقد أدرك البيروني أن السلف يصيبون ويخطئون ، ولهذا فيجب مراعاة عدم الوقوع في أخطائهم، فلابد من الارتكان إلى الشك المنهجي بآثار السلف وإخضاع ذلك للاختبار، فيقول: "ولا سبيل إلى التوسل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات والقياس بما يشاهد من الحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل المستعملين لذلك".[1]

(6) التواضع العلمي:

إذا كان التواضع العلمي هو أحد أهم الصفات الرئيسية التي يجب أن يتحلى بها العالم، فالبيروني قد حب العلم لذاته بعيدًا عن كل تظاهر أو افتخار قد يؤذي العمل العلمي. ولا مراء؛ أن البيروني قد التزم بأسباب المنهج العلمي مما جعله "يتميز بالنظرة الفلسفية والروح العلمية والتسامح".[2]

أما عن رؤية البيروني للتاريخ وأسلوبه في الكتابة التاريخية؛ فنجده صاحب رؤية خاصة في كتابة التاريخ يظهرها أسلوبه المنظم في عرض الأحداث المتعاقبة، وليس ذلك بقصد تسجيل هذه الأحداث أو قص الأخبار الباقية، وإنما إعمال النقد فيها والكشف عن أسبابها بما تمتع به من جرأة في الرأي. ليس هذا فحسب بل عمد إلى استخدام المقارنات واستبعاد الأساطير والخرافات التي تعوق طريق الوصول للحقيقة التاريخية، وعدم الارتكان إلى تلك الآراء المتواترة عن الأمم السابقة والتي قد تؤدي لبعد المؤرخ عن الموضوعية. ولذلك يعد البيروني مؤرخ ثقة ترك قاعدة ذهبية لكتابة التاريخ وتفسيره، فيقول: "فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب .. فالأقرب

1- البيروني ، الآثار الباقية، ص 4.
2- محمد على محمد الجندي، تطبيق المنهج الرياضي في البحث العلمي عند علماء المسلمين، دار الوفاء، ط1، القاهرة 1990، ص 237.

والأشهر فالأشهر، ونحصلها من أربابها ونصلح منها ما يمكن إصلاحه ونترك سائرها على وجهها ليكون ما نعمله من ذلك مُعيناً لطالب الحق ومحب الحكمة على التصرف في غيرها ومُرشدًا إلى نيل ما لم يتهيأ لنا".[1]

والواقع ؛ أن البيروني قد طبق هذا الأسلوب في كتابه " الآثار الباقية عن القرون الخالية" ولهذا كان من المنطقي أن "يظل أسلوبه التاريخي ممتعًا لما يحركه من كوامن العقل".[2]

الخلاصة:

كان البيروني من أهم العلماء إبان عصره والعصور التي لحقت به، وهذه الحقيقة يقرها كل مؤرخي العلم فوضعوه في مصاف كبار العلماء الذين حققوا الإنجازات الضخمة في تاريخ مسيرة العلم والحضارة.

فيقول المؤرخ الفرنسي كلود كاهن عن أسلوب البيروني في التأريخ : "نحن ندين للبيروني باستعراض زمني لجميع الشعوب بالمعرفة، أرفقه بمعلومات في غاية الأهمية عن أعيادهم ودياناتهم، كما ندين لهه بكتاب عن بلاد الهند به معلومات قيمة ولا تزال ثمينة إلى يومنا هذا".[3] أما المستشرق الإنجليزي برنارد لويس فيقول في الفصل الثامن من كتابه"العرب في التاريخ": "وأعظم الجميع البيروني الطبيب والفلكي والرياضي والفيزيائي والكيميائي والجغرافي والمؤرخ والعلامة المبدع والمتبحر الذي كان واحدًا من أعظم المثقفين في العصر الإسلامي الوسيط".[4]

1- البيروني ، الآثار الباقية، ص5.

2- محمد عبد الحميد الحمد، حياة البيروني، دار المدى، ط1، دمشق 2000، ص 268.

3- عبد الحميد الحمد، المرجع السابق، ص 162.

4- محمد غريب جودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة القرآن، ب.ط، القاهرة 1998، ص163.

ويقول المستشرق الأمريكي آرثر بهام بوب: "في أية قائمة لأسماء كبار العلماء في الدنيا ينبغي أن يشغل أسم البيروني موقعًا ساميًا، إذ لا يمكن أن يكتمل أي تاريخ للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم الإنسان أو مقارنة الأديان دون الاعتراف بإسهامه العظيم في تلك العلوم".[1] ويقول مايرهوف: "إن أسم البيروني أبرز أسم في موكب العلماء الكبار واسعي الأفق الذين يمتاز بهم العصر الذهبي للإسلام".

وعن البيروني يقول المستشرق سخاو: " إن البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ، فألم إلمام شامل بالمعارف وتضلع في الرياضيات والتاريخ كما عُرف بأنه على جانب من الدهاء والذكاء وسعة الحيلة وأن له قدرة عجيبة على البحث والاطلاع".[2] ويقول أيضًا: "وتقدير البيروني حق قدره والاعتراف له بكل فضله يحتاج إلى عمل أجيال من الباحثين ينكبون على تراثه بحثًا وتحقيقًا".[3]

ولذلك فلا غرابة فيما ذهب إليه سارتون من تسمية القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري -وذلك فيما يتعلق بتاريخ العلم العالمي- "بعصر البيروني".[4]

1- عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف، ط9، القاهرة 1996، ص103.

2- علي عبد الله الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت 1985، ص97.

3- أمين الطاهر شقليلة، علم الفلك عند العرب بين التنجيم وعلم النجوم، ضمن كتاب التراث العلمي العربي في العلوم الأساسية، دار الكتب الوطنية، ط1، بيروت1991، ص529.

4- الموسوعة العربية العالمية، ص 431.



الغزو المغولي

صفحة دموية في تاريخ الحضارة الإسلامية

"هُوَحديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ يُنْسِي التّواريخ، ونازلة تُصَغِّر كُلَّ نازلة، وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطّول والعرض"

الموفَّق عَبْد اللّطيف بْن يوسف

(557 – 629هـ)

مقدمة:

في أواخر القرن الثاني عشر توحدت قبائل المغول البربرية على يد "تيموجين"، أحد زعماء قبائلها، الذي أسمى نفسه باسم جنكيزخان. وانطلقت تلك القبائل من مواطنها الصحراوية المجدبة في وسط آسيا لتعيث في الأرض فسادًا، شرقًا في الصين، وجنوبًا في الهند، وشمالاً في روسيا. وكان من أولى ضحاياها الممالك الإسلامية الشرقية في فارس والعراق والشام. وقد عامل المغول شعوب تلك البلاد بقسوة ووحشية، وكان استخفافهم بالحياة الإنسانية لا حدود له، فلم يتورعوا عن قتل الأسرى والتنكيل بأهل المدن المفتوحة، حتى لمن حصلوا منهم على عهود بالأمان، ولم يقيموا وزنًا ولا احترامًا للتراث الثقافي والحضاري لتلك الأمم، فكان الخراب والدمار يسيران في ركابهم أينما حلوا.

وقد تضافر مع العبقرية الحربية والاستراتيجية للمغول، ما كان العالم الإسلامي يعانيه، من ضعف ووهن بسبب التمزق والفرقة. ولم تستطع الجيوش وقف تقدم المغول الذين اجتاحوا إيران، ثم العراق، وبعدها الشام، ولم يعد أمامهم سوى مصر لكي يبسطوا سلطانهم على العالم الإسلامي، ولولا بسالة جيش مصر بقيادة قطز الذي ألحق بالمغول أول هزيمة كبرى لهم في عين جالوت، لربما تغير تاريخ العالم، ولربما انقطعت مسيرة الحضارة الإسلامية.

يعتبر الغزو المغولي[1] للوطن العربي من أشد الأخطار التي كادت أن تعصف بكيان الأمة العربية، فكان هدف موجات الزحف المغولي إلحاق الدمار والخراب وتدمير التراث الفكري والحضاري، فالمغوليين الرعاة الذين عاشوا حياة تعسة وذاقوا مرارة الفقر والحرمان، فقست نفوسهم، وخشنت طباعهم، لم يرحموا صغيرًا ولا كبيرًا في العالم الإسلامي، وانطلقوا يدمرون كل شيء في طريقهم حتى انتشر الفزع والهلع في كل مكان. يقول ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: "لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمَن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومَن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فيا ليت أمي لم تلدني، يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ذلك لا يجدي نفعا".[2]

1- المغول: تحريف لكلمة مانخول وهي إحدى قبائل المغول أو التتار، وكان زعيم هذه القبيلة يسمى "يسوغاى"، وكان سلسيل عائلة نبيلة قديمة، وهو والد تيموجين، الذي لُقب فيما بعد باسم "جنكيزخان" وهو اللقب الذي لا يزال غير واضح المعنى لغويًا كما يرى المستشرق الألماني برتولد شبولر. شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي/ تعريب خالد أسعد عيس/ تقديم سهيل زكار.- دمشق: دار حسان، 1982. ص 22. صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر.- ط1.- الإسكندرية، منشأة المعارف، 1996. ص1، هامش(1).

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ.- ط3.- بيروت: دار صادر، 1982. ص399 (ج10)

1 ـ تأسيس الإمبراطورية المغولية:

يذكر كثير من المؤرخين والباحثين أن المغول هم عدة قبائل بدوية رعوية كان يشار إليهم غالبًا باسم التتار[1] أو التتر، وهو اسم كان يطلق على إحدى مجموعاتهم وهي قبيلة التتر[2]، وكانت القبائل المغولية في مستهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تعيش في هضبة منغوليا الواقعة شمال صحراء جوبي بين بحيرة بايكال في الغرب وجبال خنجان (Khingan) على حدود منشوريا في الشرق. وكانت هذه القبائل تعيش على الصيد والقنص ويتغذون باللحم ولبن الخيل، ولم يكن لهم دور يذكر في التاريخ قبل ظهور جنكيزخان، بل كانوا ينقسمون إلى عدة قبائل.[3]

1- الحقيقة أن المغول في بدء هجومهم على العالم الإسلامي كانوا يعرفون بالتتار كما أطلق عليهم اسم "المغول"، و"مغل" واشتهروا في التاريخ بتلك الأسماء. ويذكر مؤرخو الترك ونسابوهم أن ألنجة خان أحد ملوك الترك ولد له في الأزمنة القديمة ولدان توأمان هما مغول خان وتتار خان وقد تفرعت منهما قبائل المغول والتتار. جاد محمد رمضان، كيف نجا المسلمون من عاصفة المغول والتتار المدمرة؟.- ديوان العرب: منبر حر للثقافة والفكر والأدب (www.diwanalarab.com).- منشور بتاريخ 21 آيار/ مايو 2006.

2- ونستطيع أن نقول بأن المغول شيء والتتار شيء أخر، بحيث يمكننا أن نطلق على التتر مغول، ولا يمكننا القول بأن المغول تتراً، لأن التتر شعبه متفرعة من المغول وليس العكس، إذن الأصل هنا هم المغول. سعد بن حذيفة الغامدي، سقوط الدولة العباسية.- ط3.- الرياض: دار ابن حذيفة، 1425هـ. ص53

3- صبحي عبد المنعم، الزحف المغولي على العالم الإسلامي.- موقع التاريخ الإسلامي (www.islamichistory.net).- متاح بتاريخ 24 مارس 2009.

ويلاحظ أن منطقة وسط أسيا منطقة لها أهمية كبيرة في حركة التاريخ في العصور الوسطى ويعلق المؤرخ أرنولد توينبي أهمية كبيرة على تلك القبائل، لأن منطقة استبس Steppes وسط أسيا منطقة طاردة للسكان وتخرج منها هجرات مسلحة شرقاً نحو سهول ووديان الصين الفيضية مثل اليانجستي، وغرباً صوب الأنهار الإيرانية والعراقية، ولذلك توصف منطقة استبس Steppes وسط أسيا بأنها منطقة تمثل مستودع بشري ضخم لتصدير الأقوام إلى المناطق الأخرى في أسيا، وغالباً ما وصفت عمليات بأنها مسلحة وعنيفة ودموية.

وكانت قبائل التتار من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشًا وجبروتا في أقاليم آسيا الشمالية وكانوا يتمتعون باحترام زائد نتيجة قوتهم بالإضافة إلى أنهم كانوا أكثر القبائل رفاهية وتنعمًا. وكانت قبائل التتار في صراع دائم وشديد مع قبائل المغول حتى ظهرت قيادة استطاعت توحيد القبائل تحت راية واحدة في صورة جنكيز خان[1]، فقام ومعه جنوده بالإجهاز عليهم واستئصال شأْفَتَهم وأصدر أمرًا قاطعًا بألا يترك أحد منهم على قيد الحياة، وعلى أثر انتصاره عليهم، أطُلق اسمهم عليه، ربما لما كانوا يتمتعون به من القوة والشجاعة والثراء والنبل.

ولقد تمكن الزعيم المغولي جنكيز خان من جمع شمل القبائل المغولية المتفرقة وأخضعها كلها لسلطانه ونصب نفسه عليها خاقانا سنة (603هـ/ 1206م). وبعد أن تولى جنكيز خان عرش المغول سعى إلى التوسع في الأقاليم الجنوبية بهدف اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من البلاد الصينية والتوسع في الأقاليم الغربية بقصد تعقب بعض القبائل المغولية التي فرت من وجهه وأبت الرضوخ لسلطانه، وبينما هو يستعد لتوسيع ملكه قرر وضع دستور لشعبه كي يلتزم المغول به ويسيرون وفق قواعده في حياتهم، وقد نظم هذا الدستور الحياة العامة المغولية لمدة طويلة بعد موته.[2] وبعد أن نظم جنكيزخان الأمور داخل دولته واطمأن إلى استقرارها زحف نحو البلاد الشمالية من بلاد الصين وتمكن من إخضاعها، كما تمكن من الانتقام من أعدائه الذين فروا من وجهه تجاه الغرب، ومن ثم اصطدم بالقوى الإسلامية.

1- وجنكيزخان كلمة تعني: قاهر العالم، أو ملك ملوك العالم، أو القوي.. حسب الترجمات المختلفة للغة المنغولية.. واسمه الأصلي "تيموجين".. وكان قائدًا عسكريًّا شديد البأس وسفاكًا للدماء، وكانت له القدرة على تجميع الناس حوله. وتذكر الروايات التاريخية أنه كان دموياً قاسياً منذ طفولته المبكرة فعندما كان صغيراً قتل شقيقه ولم يأسف على هذا.

2- ريهام المستادي، رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحّد.- دورية كان التاريخية (القاهرة).- العدد الرابع: يونيو2009. ص69 – 73.

ويذكر أن القائد المغولي جنكيزخان قام بالاستيلاء على مناطق عديدة ولعل أهم هذه المناطق الصين لأننا نعلم أن التوسعات المغولية قامت من منطقة استبس وسط أسيا لاسيما منغوليا واتجهت إلى اتجاهين جغرافيين شرقي ثم غربي، والاتجاه الشرقي لاسيما من خلال الاستيلاء على الصين وعاصمتها بكين التي دخلها سنة 1215م/ 612هـ واسقط حكم أسرة "كين"[1]، ولاشك أن الاستيلاء على بكين وإخضاعه للصين قد جعله يمتلك ثروات كبيرة من خلال سهول الوديان الفيضية لأنهار السيتيانج واليانجستي، وتعد المرحلة الخاصة بالتوسع إلى الشرق مرحلة إعداد لقوة المغول. فقد اتسمت التوسعات المغولية في منطقة الصين بالدموية الشديدة، فارتكب المغول مذابح فظيعة وفي كل بقعة كانت الدماء تسيل كالأنهار،[2] ومن الآن فصاعدًا سوف نتلمس التاريخ الدموي لقبائل استبس وسط أسيا لاسيما المغول.

أما الاتجاه الغربي؛ فقد اتسم بعمليات عسكرية ساحقة لأعدائهم لاسيما الخوارزميين خاصة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، ومن بعده ابنه جلال الدين منكبرتي، فقد استطاع المغول اقتحام مناطق الدولة الخوارزمية محدثين أكبر قدر من المذابح والتدمير.[3] ثم اتجهوا إلى مناطق الإسماعيلية النزارية في إيران، وبالفعل اسقطوا قلعة الموت الحصينة سنة (1256م/ 654هـ)، ثم اتجه المغول إلى عقر دار الخلافة العباسية في بغداد (1258م/ 656هـ)،[4] وكانت تمر بمرحلة من

1- علي محمد الصلابي، المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار. ص 52 (نسخة إلكترونية)

2- عن التوسع المغولي في آسيا وأوربا، راجع: مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى.- ط2.- القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1999. ص 109 – 116

3- راجع: حسن الأمين، الإسماعيليون والمغول ونصر الدين الطوسي.- ط1.- بيروت: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، 1997. ص 59 – 75.

4- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب.- الطبعة الأولى.- الجيزة: عين للدراسات والبحوث، 1999. ص 311.

الضعف الشديد في عهد الخليفة المستعصم العباسي، كذلك ساد العراق الصراعات الطائفية بين السنة والشيعة.

لقد توفي جنكيزخان سنة 1227م، والآن لابد أن نرصد تقييمًا سريعًا وتقويمًا لأعمال وانجازات ذلك القائد التاريخية، وفي الحقيقة هناك من الباحثين الغربيين من أعجب أشد الإعجاب بجنكيزخان واعتبره من عباقرة السياسة والحرب في عالم العصور الوسطى ورأوه قاهرًا للعالم، ووجدنا الإعجاب به لدى المؤرخ الفرنسي "رينيه جروسيه" الذي ألف دراسة عن إمبراطورية الإستبس[1]، وامتد الإعجاب به إلى المؤرخين الروس فحشدوا المؤلفات العديدة للإشادة به وتصويره على أنه عبقري. والواقع أنه من البداوة الفكرية أن نجعل سفاحي العالم أفذاذًا فهذا الرجل دخل التاريخ من أبوابه الخلفية وعلى جماجم قتلاه وما أكثرهم، ولابد من تقييم قادة التاريخ من منظور إنساني أخلاقي، وإلا اعتبرنا هتلر (1889–1945) وموسوليني (1883–1945) من العظماء وهم ليسوا كذلك. ويبدو أن المؤرخين الغربيين كانوا أحيانًا يصفقون لكل مَن يقتحم مناطق المسلمين ويقيم فيها المذابح، فلم يكن جنكيزخان من العظماء المائة كما توهم مايكل هارت[2] ولن يكون، وإنما من العظماء قائد مثل صلاح الدين[3] الذي دخل بيت المقدس دون أن يريق قطرة دماء واحدة فشتان بين الرجلين. ويبدو أن القائد المغولي كان يتلذذ بالدماء ورؤية الجماجم وقد يكون لديه نوع من السادية

1- René Grousset, “The empire of the Steppes, a History of Central Asia” Rutgers U. Press, New Brunwick, 1970

2- Michael H. Hart, The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History, 1978 (Revised Edition, 1992)

مايكل هارت، العظماء مائة وأعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم.- الطبعة الأولى.- القاهرة: المكتب المصري الحديث، د. ت. ص 87 - 89

3- أشرف صالح، "الشخصية الرومانتيكية في عصر الحروب الصليبية"، مجلة أدب فن: ثقافية إلكترونية تعنى بكل أشكال الكتابة الإبداعية (www.adabfan.com).- منشور بتاريخ 16 يونيو 2009.

(أي التلذذ بتعذيب الآخرين)[1] ولذلك الحذر من تأييد كل مَن يمجد غزوات المغول دون أن نأخذ في الاعتبار أنها غزوات مخربة، فالأساس في التاريخ هو السلامة وليس الدماء، فلا عبقرية مغولية وإنما دماء مئات الآلاف الذين سقطوا أمام جيوشهم.[2]

2 ـ التنظيم العسكري وسمات الجيش المغولي:

خلال القرن الثالث عشر الميلادي، كان الجيش المغولي أفضل جيش في العالم،[3] فالتنظيم العسكري المغولي بسيط ولكنه فعال، اعتمد على تقليد قديم هو النظام العشري، حيث تتكون الفرق العسكرية من وحدات صغيره تبدأ من 10 جنود ويطلق عليهم اسم (arban) ثم تبدأ تلك الوحدة الصغيرة بالتضاعف العشري لتصل إلي 100 جندي، وفي هذه الحالة يطلق عليها اسم (Zuut) ثم تتضاعف مره أخري حتى يصبحوا (1000) جندي ويطلق على مجموعتهم حينها اسم (Minghan)، ثم تتضاعف لتصل إلي (10) آلاف جندي مكونين ما يسمي بـ (Tumen)، وكان كل قائد مجموعة من الوحدات السابقة يخضع للقائد الذي يليه بالمستوي الأعلى وكان يقود مجموعات (Tumen) قائد برتبة (Noyan) وهو الذي ما يتم تكليفه غالبًا بحكم

1- الشخص السادي بوجه عام، هو الشخص الذي يتبنى في سلوكه عند التعامل مع الناس حب السيطرة والتحكم والإذلال. الإنسان الذي يوصف بأنه مريض بمرض السادية هو إنسان قاسي القلب، لا يقبل العذر، ولا يسامح الآخرين، بل يسعده جدًا أن يعذب الآخرين بأي وسيلة أو سلطة كانت عنده حتى وإن لم تكن لديه سلطة، سلط لسانه على من أمامه، ليعذبه باللوم والتقبيح والإقلال من الشأن. انظر: الشخصية السادية، في الموسوعة الصحية الحديثة: (www.se77ah.com)

2- محمد مؤنس عوض، محاضرات نصوص تاريخية باللغة الإنجليزية The Hottest Pursuit/ ألقيت في قسم التاريخ- كلية الآداب.- القاهرة: جامعة عين شمس، خلال الفترة (فبراير - مايو) 2000.

3- Selections from: James Chambers, The Devil's Horsemen: The Mongol Invasion Of Europe.- US: Castle Books, 2005. ["The Mongol War Machine", available in 10 April 2011 at: http://www.globaled.org]

الأراضي التي يحتلونها. ومن (2) إلي (5) مجموعات من (Tumen) كان يتم تشكيل ما يسمي بـ أو (Horde) الفيلق، تحت قيادة أحد أفراد عائلة الخان أو أحد جنرالاتهم الذين يطلق عليهم لفظ (boyan).

كانت جميع الوحدات مزوَّدة بخيول من لون واحد وبمعدَّل خمسة خيول احتياطيَّة لكلِّ محارب؛ إذا إنَّ الجواد كان السلاح الرئيسي في جيش المغول. أما تجهيزاتهم؛ فكانت الدروع الجلديَّة لحمايتهم وحماية خيولهم وخوذ فولاذية مظلَّة فولاذية ـ أيضًا ـ لحماية الرأس والرَّقبة وحقيبة للسهام واقية ضد الرطوبة، يحفظ فيها الجندي سهامه الاحتياطية مع مسَن لسنِّ السِّهام، وحَدِّها، وأوتارًا احتياطية للأقواس، بالإضافة إلى ذلك، كان المقاتل يحمل حبلاً طويلاً ذا أُنشوطة يستخدمه في جرِّ أدوات الحصار، أو سحب العجلات الغاطسة في الأوحال، أو المنقلبة أو العاطلة عن السَّير. وكان يحمل المقاتل ـ أيضًا إناء لغلي الحليب وحقيبة يضع فيها أرزاقه الاحتياطيّة من اللحم المجفَّف والخبز واللبن الخاثر، الذي يضعه في إنائه، ويضع فوقه الماء، ويغليه، ويستعمله كالحليب، وقربة صغيرة للماء، أما سلاح السَّرايا الفدائية، والخيَّالة الخفيفة، فكان الرمح مع القوس وكانت تجهيزاتهم تُشبه الخيَّالة الثقيلة عدا الفأس الثقيلة والحبل ذي الأنشطة إلا أن فرقة الحرس تمتاز عن بقيَّة الخيَّالة بالترس الذي كان يحمله الخيَّال ليتلافى به ضربات سُيوف الأعداء وكان لكل فارس في الجيش أربعة أو خمسة خيول احتياطية عدا الذي يركبه وكانوا يعتمدون في جميع عمليَّاتهم الحربية على خطَّة حركتهم الرَّائعة، وتحركاتهم الخاطفة.[1]

كان المغول مهرة بنظام حصار المدن، وحذرين بتجنيد العمال المهرة والعسكر المحترفين من المدن التي غزوها، ومن خلال جيش من المهندسين الصينيين المهرة ومن باقي الممالك التي احتلوها كانوا خبراء ببناء المجانيق والكمائن الآلية التي يُعتمد

1- علي محمد الصلابي، المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار. ص 67 – 68.(نسخة إلكترونية)

عليها بحصار المواقع المحصنة. وكانت تلك الآلات العسكرية تبنى بالأماكن التي يجب توفر المواد الأولية لها كالغابات والأشجار. وكانت القوات المغولية تعمل بالتنسيق مع بعضها البعض بالمعركة بالرماية من خلال الخيل،[1] والآلات العسكرية لكسر التحصينات وعمل الصواريخ والدخان لخلخلة تنظيمات العدو، وكسر ثباته، وعزله وتدميره قبل وصول التعزيزات.

أضف إلى ذلك؛ أن جميع الحملات العسكرية كان يسبقها التخطيط الجيد والاستكشاف، وجلب المعلومات الحساسة المتعلقة بمناطق العدو ووجود قواته، وكان التنظيم وسهولة الحركة للجيوش المغولية عاملاً مساعدًا على القتال بعدة جبهات بالمرة الواحدة. الميزة الأخرى للمغول هي مقدرتهم على اجتياز مساحات شاسعة وبأشد حالات البرد قسوة، خصوصًا الأنهار المتجمدة التي تعمل لهم كطرق سريعة.

وكانت جيوش المغول عندما تُلاقي الأعداء لا تدخل في حرب نظامية، بل كان المحاربون يدورون راكبين ويرمون سهامهم على أعدائهم. ولما كانوا لا يعتبرون في الفرار من المعركة أية نقيصة، فقد كانوا في بعض الأحيان يتظاهرون بالفرار ثم يدورون على سروجهم ويرمون أعدائهم بكل شدة، وهكذا ينزلون بهم الخسائر الكبيرة، فقد كانت خيولهم متمرنة أحسن تمرين، حتى أنها كانت تجري هنا وهناك كالكلاب. وفي هذا ما يثبت أن المغول اتبعوا طرائق حربية تدل على نضجهم الحربي ورسوخ قدمهم في فنون الحرب.[2]

وبصفة عامة؛ كانت سمات جيش التتار، سرعة انتشار رهيبة، ونظام محكم وترتيب عظيم، وأعداد هائلة من البشر، وتحمل ظروف قاسية، وقيادة عسكرية

1- Osborn, Islam under the Caliphs of Baghdad.- London, 1876. P.378.

2- مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى.- ط2.- القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1999. ص 91

بارعة، حروب تخريب وإبادة جماعية رهيبة[1]، رفض قبول الآخر، نقض العهود وإخلاف المواثيق.[2]

3 ـ الأساليب الهمجية للمغول واحتلالهم بغداد ودمشق:

من الملاحظ؛ أن جنكيزخان اتسمت فتوحاته بالسرعة الشديدة والضربات الماحقة مستغلاً الضعف الذي كانت عليه القوى السياسية المجاورة له، ثم لجوؤه إلى أسلوب الدعاية فكان المغول يفتكون بآلاف كي تصل الأخبار إلى الأحياء في الأقاليم المجاورة بشأن فظاعة الغزاة، ولهذا فر الكثيرون من بلادهم ولجئوا لمناطق أكثر أمنًا. وأحيانًا لم تُدافع بعض الحاميات عن بلادها نظرًا لأنها هُزمت نفسيًا، ولدينا أحد الأمثلة الدالة على بشاعة الغزو المغولي لأقاليم المشرق في صورة ياقوت الحموي، فعندما وصلت إليه أخبار التوسعات المغولية لجأ إلى مغادرة "مرو" الشهجاهان (روح الملك) ولجأ إلى القدوم لبلاد الشام فرارًا من مصير دموي كان من الممكن أن ينتظره.

كان الخطر من خلال الخوارزميين وهجوم المغول عليهم، فالسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه يحكم هذه المنطقة، وقد تمكن المغول بعد صراعات سياسية من اجتياح بلاده، وكانت بمثابة الدرع الشرقي للعالم الإسلامي، فكان الاستيلاء على أملاك الخوارزميين بداية لانهيار مراكز إسلامية أخرى.[3]

1- ذكر السيوطي عن الموفق عبد اللطيف في خبر التتار: "وكأن قصدهم إفناء النوع، وإبادة العالم، لا قصد الملك والمال". انظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: ج6/ الدولة العباسية.- بيروت: المكتب الإسلامي، 2000.(ج2/ ص334)

2- راغب السرجاني، قصة التتار: من البداية إلى عين جالوت. (سلسلة قصة الإسلام، نسخة إلكترونية)

3- حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول: غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية.- الطبعة الأولى.- القاهرة: دار الفكر العربي، 1949. ص93 وما بعدها

تجدر الإشارة إلى؛ أن المغول اعتمدوا على كثافة عددية كبيرة في جيوشهم، فكانوا يجتاحون المناطق بأعداد غفيرة من الجنود، كما كانوا يأخذون أهالي البلاد كأسرى من أجل حمل الأمتعة والقيام بأعمال معاونة للجيش المغولي، وأمام ضخامة أعدادهم وانصياعهم لأوامر جنكيزخان بصورة تعكس الطاعة العمياء لقائدهم[1] تمكنوا من تحقيق نجاحات كبيرة. ونلاحظ أيضًا أنه لا توجد عبقرية في التوسعات المغولية، والنجاحات التي حققها المغول بقيادة جنكيزخان كانت بسبب أن المناطق التي تم غزوها كانت مغزوه من الداخل قبل غزوها من الخارج، وذلك بسبب الصراعات السياسية والاختلافات العقائدية والمنازعات العرقية، ولذلك ليس من المنطقي تصوير توسعات جنكيزخان على أنها عمل إعجازي، لأن المنطقة كانت مهيأة لتلك التوسعات، ناهيك عن أن تلك الأقاليم وجدت فيها مدن مزدهرة، حيث هاجم المغول المدنيين في أحيان كثيرة أكثر من العسكريين.[2]

الواقع أن مدن سمرقند وبخارى وغيرها من المدن كانت على درجة عظيمة من التفوق العلمي وامتلكت مكتبات رائعة وعلماء عظام، وقد وصف ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان تلك المناطق قبل أن تُدمر على أيدي الغزاة المغول، فجعلنا ندرك كيف كانت أقاليم المشرق الإسلامي تزدهر فيها حركة علمية رائعة انقضت بالغزو المغولي لتلك الأقاليم. ويشير ياقوت في كتابه الفذ أن "مرو" كان بها عدة خزائن من الكتب، وأنه كان يستعير منها بضع مئات من الكتب، ولذلك فإن تأليفه لكتاب معجم البلدان وهو كتاب لا نظير له يعكس ازدهار مكتبات الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي.

أما سقوط بغداد 1258م؛ فقد كان أكبر انجاز حققه المغول منذ أن دخلوا بكين، فقد ظلت عاصمة الخلافة العباسية لعدة قرون شامخة ولا يستطيع أحد إسقاطها.

1- حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي.- ط1.- القاهرة: دار الفكر العربي، 1420هـ. ص131

2- محمد مؤنس، محاضرات، مرجع سابق.

ويلاحظ أن الخلافة العباسية قبيل حملة هولاكو كان قد تطاول عليها الزمن وفي ذلك الوقت كان الخليفة هو المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين (640 – 656)، الذي كانت تصله الأخبار باقتراب جيوش المغول ولا يتحرك فقد كانت الخلافة مهيأة أكثر من أي وقت مضى نحو السقوط، فقد انهارت من الداخل قبل الخارج لاسيما مع وجود خليفة ضعيف يهتم بجمع المال أكثر من الاهتمام بتقوية الدفاعات العباسية، فكان يقول: "أنا بغداد تكفيني، ولا يستكثرونها علي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد".[1] ويضاف لذلك الصراع بين السنة والشيعة وهو صراع هد جسد الخلافة، بالإضافة إلى اضطراب أوضاع الدولة العباسية لاسيما على المستوى الإداري والسياسي.

ولذلك فعندما قدم هولاكو خان (1217 – 1265) تمكن بسهولة من إسقاط حاضرة العباسيين الرائعة بغداد، وكان لذلك الحدث الأثر الأكبر في إصابة المسلمين بصدمة نفسية ضخمة، وتوهموا أن المغول جيش لا يقهر، ولا نغفل أن هناك ما يوصف بـ"الطابور الخامس" وهو عبارة عن أعوان للمغول في داخل مناطق المسلمين عملوا على تدميرهم نفسيًا، وبالاستيلاء على بغداد ومن قبل الاستيلاء على مراكز النزارية في شمال إيران، وألموت بالذات، امتدت رقعة الإمبراطورية المغولية من الصين شرقًا حتى العراق غربًا، وبالتالي أخضع المغول قسمًا كبيرًا من "طريق الحرير"[2] وهو طريق استراتيجي في التجارة الدولية.

1- ابن العبري: (غريغوريوس ت685هـ/ 1256م)، تاريخ مختصر الدول.- ط1.- ب.م. ص 255.
2- طوال آلاف السنين التي سجل فيها الإنسان تاريخه، كان الشرق مصدرًا لقائمة من السلع الثمينة هي الأكثر رواجًا في تجارة العالم القديم، وبالإضافة إلى إنتاجهم لهذه السلع لعب سكان الشرق بقسميه الأقصى والأدنى دورًا مهمًا في نقل هذه السلع الثمينة إلى المستهلكين لها في كل موقع من قارات العالم الثلاث المعروفة آنذاك. وكان المحور العالمي الأكثر أهمية للتجارة الدولة في العالم القديم يمتد من الشرق إلى الغرب، ويليه في الأهمية محور آخر يسير بعكسه من الغرب إلى الشرق، وقد نقلت التجارة المتداولة في هذين المحورين على طرق برية وبحرية أطلق عليها بعض الباحثين والأوربيين مسمى "طرق الحرير"، نسبةً إلى الحرير الصيني الذي كان يعد أنفس سلعة ينقلها التجار على هذه الطرق.
Luce Boulnois, Silk Road: Monks, Warriors & Merchants on the Silk Road/ Translated by Helen Loveday with additional material by Bradley Mayhew and Angela Sheng. Airphoto.- English Edition.- Hong Kong: Odyssey Books & Guides, 2004.

وقد تم ذبح سكان بغداد باستثناء العناصر المسيحية، ويلاحظ أن الغزو المغولي شهد عمليات واسعة أشبه شيء بالتطهير العرقي، وإذا كان الصليبيون من قبل ذبحوا في المسلمين فإن الغزو المغولي كان أضعاف ما حدث بالنسبة للصليبيين. ويلاحظ أن هولاكو كان متزوجًا وأن زوجته "دوقوز خاتون" كانت تدين بالمسيحية، فعامل المسيحيين معاملة طيبة وقام بالفتك بالخليفة وحاشيته وقتل مئات الآلاف، ولا نستطيع تحديد رقم القتلى في غزو العراق وغزو بغداد بالذات، نظرًا لأن المصادر التاريخية في عالم العصور الوسطى يغلب عليها طابع المبالغة، لاسيما في الإحصاءات أو الأرقام. ومن المؤكد؛ أن ذلك الغزو كان غزوًا مدمرًا بشريًا وعلميًا واقتصاديًا، ولم يحدث لعاصمة الخلافة العباسية التي شهدت القرن الذهبي في عصور العباسيين الأوائل أن نُكبت نكبة مثل كارثة 1258م.

فقد سلمت بغداد إلى جيش هولاكو يوم (4 صفر 656هـ= 1258م)، ففتكوا بأهلها، وهجموا على المساجد وخربوها وأحرقوها وسرقوا ذهب قبابها، وقتلوا الخطباء والقرّاء، وأتلفوا الكتب القيمة، واستمر هذا الوضع نحو أربعين يومًا، كلما دخلوا منطقة أشعلوا فيها النيران، وخربت أكثر الأبنية وجامع الخليفة، وقد قدر بعض المؤرخين الضحايا بالمليون، حتى صعد الناس إلى السطوح فسالت الميازيب بدمائهم، ولم ينج أحد منهم إلا اليهود والنصارى، وكانوا يذبحون الناس كما يذبحون الشاة، ولم يعد في بغداد إلا شواذ الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول كما وصفها ابن كثير، وانتشر الوباء والغلاء، وتعطّلت المساجد والجمعات لعدة أشهر.[1]

1- شاكر عبد الكريم، "الاحتلال المغولي لبغداد".- موقع التاريخ (http://altareekh.com).- منشور بتاريخ 13 يناير 2011.

وبقراءة أسباب سقوط بغداد على يد المغول سنة (656هـ/ 1258م) نجد أنها تتلخص في:[1]

الخلافة:

الاختلاف بين الوزير مؤيد الدين بن العلقمي[2] وقائد الجيش الدويدار الصغير. وضعف الخليفة المستعصم بالله، وعدم قدرته على اتخاذ أي قرار حازم لمواجهة المغول. واستهانة الخليفة المستعصم بالله بالمغول (يتضح ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين المغول)،[3] واكتناز الأموال لدى الخليفة، بدلًا من صرفها في أهم واجب وهو إعداد الجيش، لأن الوقت والموقف يتطلب بذل الغالي والنفيس لتجاوز المحنة. وضعف قدرة الخلافة لوحدها في مواجهة المغول، وذلك لعدم قدرتها على إحداث تحالفات بين مختلف المناطق الإسلامية التي لم تتعرض للغزو المغولي بعد، مثل إمارة بدر الدين لؤلؤ في الموصل والجزيرة وديار بكر، وبقايا الأيوبيين في الشام، أو قوة المماليك الناهضة في مصر. بالإضافة إلى سرقة الأموال التي أعدها الخليفة المستعصم بالله للرماة على الأسوار من قبل المتنفذين في الدولة. كما أن صغر مساحة الدولة العباسية الممتدة من اربيل إلى البصرة ربما كان عاملاً حاسمًا في ضعف قدرة الخلافة المادية والبشرية، ولو بشكل محدود.

1- طارق فتحي سلطان، محاضرة بعنوان "قراءة في أسباب سقوط بغداد على يد المغول سنة 656هـ/ 1258م"، ألقيت هذه المحاضرة بتاريخ 7/ 10/ 2007م في سمينار قسم التاريخ بالذكرى الثالثة لمأساة غزو واحتلال العراق من قبل قوات الاحتلال الأمريكي. العراق - جامعة الموصل. متاحة في الفسطاط المجلة التاريخية (www.fustat.com). وراجع أيضًا: سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتر بلاد المسلمين.- ط3.- الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 2001.

2- انظر: طارق شمس، "ابن العلقمي وحقيقة سقوط بغداد وزوال الدولة العباسية".- مجلة رسالة النجف.- السنة الخامسة - العدد الخامس عشر (حزيران 2009).- لبنان: جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية، 2009.

3- مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى.- ط2.- القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1999. ص 158

الجيش:

عدم اتخاذ ما يلزم، لمواجهة التحديات التي تواجهها الخلافة، من إهمال شئون الجند وتسليحهم وتدريبهم ورواتبهم وتجهيزاتهم. كما تمّ تسريح أعداد كبيرة من الجند - قبيل سقوط بغداد - لعدم حاجة البلاد لهم، بدلاً من تجنيد الجند لمواجهة المغول.[1] زد على ذلك؛ ضعف الخطة العسكرية المعدة لمواجهة المغول، وعدم وجود خطط بديلة، فيما لو فشلت الخطة الموضوعة. وعدم اتفاق قادة الجيش على قائد يأتمرون بأمره، فكان كل رجل قائدًا بنفسه. واعتماد التجنيد على المماليك (المرتزقة)، الذين لا تربطهم بالبلد أية رابطة. والتحاق عدد من الجند والقادة بالجيش المغولي، فتحولوا بذلك من مدافعين إلى أدلاء ومهاجمين، فضلاً عن اطلاع العدو على خطط تدريب الجيش العباسي، وأماكن تواجده وأماكن تموينه. فقد قُدر عدد الجيش العباسي بـ 12000 مقاتل، وهذا الجيش كانت تنقصه أمور كثيرة (الخبرة، التسليح، التدريب).

العامة:

ضعف دور العلماء والفقهاء في إعداد العامة والجند وتنبيههم إلى ضرورة مقاومة المغول، وخاصة أن الإخبار عن أساليب التدمير المغولي قد وصلت إلى بغداد وأهلها منذ مدة طويلة، عند احتلال المغول لبخارى وسمرقند ومرو والري وبلخ واصفهان وهمدان، وغيرها من المدن الإسلامية في المشرق، فحتى المستسلمين لم ينجوا من المذابح، بل سيقوا كدروع بشرية أمام المغول، واستخدموا في أعمال السخرة القاسية جدًا. ولم يكن لأهل بغداد خطة للمجابهة، بل كانوا منقسمين متخبطين متنازعين. كما عانت بغداد من تسيب وابتعاد عن الدين الذي يحث على

1- مصطفى طه بدر، المرجع نفسه. ص 136

الجهاد ومقاومة المحتل المغولي، وانشغلوا بأمور لا تخدم البلد، فضلاً عن الأوبئة والأمراض، والفيضانات، والحصار الاقتصادي الذي فرضه المغول على أهلها.[1]

المغول:

استطاع المغول بخططهم العسكرية إيهام الجيش العباسي وقادته عن وجهة الهجوم الرئيسة، وسحبوا معظم الجيش العباسي من شرق بغداد، فأرسل الخليفة مرشد الخصي الهندي المستعصمي لتغطية جبهة شرق بغداد، إلا أن قادة الجند رفضوا أوامر الخليفة، وتركوا الجبهة مكشوفة، مما سهل للمغول الوصول إلى الأسوار الشرقية لمدينة بغداد دون مقاومة تذكر. وبذلك نجحت خطة المغول بمحاصرة بغداد من الغرب والشرق (بايجو من الغرب وهولاكو من الشرق). ولم يكتف هولاكو بهذه الخطة، بل حصن مواقعه شرق بغداد، خوفًا من أي هجوم قد يقوم به الجيش العباسي، فعمل على حفر سورًا أمامه، كما أقام جسرًا جنوب بغداد لمنع المتسليين من اللجوء إلى واسط والبطائح عبر نهر دجلة. أضف إلى ذلك؛ طريقة تدريب الجيش المغولي وفق منهج خاص يعرف بطريقة موغداي وتعني حب الموت. وإلقاء المنشورات على أهل بغداد تحضهم فيها على الاستسلام وعدم القتال والمقاومة، وأن الذي يستسلم سينجو من العقاب.[2]

ومن بعد تلك الأحداث الصاخبة؛ جاء الدور على بلاد الشام، لأنها تعد الطريق المؤدي إلى مصر ومنها إلى ساحل شمال إفريقية حتى المحيط الأطلسي، وكان يتوجب على الغزاة أن يحكموا قبضتهم على بلاد الشام بأسرها سواء في الداخل أو على الساحل الشرقي للبحر المتوسط حتى يسهل عليهم السيطرة على مصر، ومَن

1- أشرف صالح محمد، "الغزو المغولي: صفحة دموية في تاريخ الحضارة الإسلامية".- مجلة الزيتونة (تونس).- أبريل 2011.

2- ابن العبري: (غريغوريوس ت685هـ/ 1256م)، تاريخ مختصر الدول.- ط1.- ب.م. ص 473 - 474

يسيطر على بلاد الشام ومصر معًا يتمكن من السيطرة على المشرق العربي الإسلامي كله وتفتح أمامه أبواب المغرب العربي قم الأندلس التي تعد بوابة غرب أوربا.[1] وبالفعل تمكن المغول من الاستيلاء على حلب، وبعدها دمشق التي أصرت على المقاومة والجهاد، فحاصرها المغول وضربوها بالمجانيق حتى استسلمت، وقتلوا مَن كان بها من الأهالي والجنود، ونهبوا جميع دورها ومتاجرها وجميع مساجدها.

وبعد فتح دمشق استولى المغول على بعلبك وبانياس، وتابعوا زحفهم جنوبًا حتى غزة فاستسلمت حامية عجلون، وخربوا حوران ونابلس، وبذلك دانت لهم معظم بلاد الشام وصار المغول مسيطرين على ممالك إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام، بالإضافة إلى الإمارات المحلية في هذه البلدان، وبدؤوا يتوجهون صوب مصر حتى يسهل عليهم تثبيت أقدامهم في بلاد الشام، فقد تأكد هولاكو تمامًا أن خروج مصر عن دائرة سيطرة المغول يعني بقاءها نقطة انطلاق للهجوم الرئيسي عليهم.[2]

لقد أثرت الانتصارات المتتابعة السريعة للمغول على المسلمين تأثيرًا كبيرًا جعلهم يعتقدون في قرارة أنفسهم بأن المغول إنما هم بلاء من الله سلطه على المسلمين، ويبدو أن المغول أحسوا بهذا الاعتقاد فأخذوا يستخدمونه ضد المسلمين، ويؤكدونه في أنفسهم حتى يقضوا على مقاومتهم.[3] فقد جاءت سيطرت المغول شديدة الوطأة على المسلمين في بلاد الشام، إذ أنهم بادروا قبل كل شيء إلى تدمير الاستحكامات والأسوار والقلاع في البلاد التي خضعت لهم مثل حلب ودمشق

1- عصام شبارو، السلاطين في المشرق العربي: المماليك.- بيروت: دار النهضة العربية، 1994. ص58.

2- صبحي عبد المنعم محمد، سياسة المغول الايلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام (1316 - 1335م).- ط1.- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2000. ص20.

3- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي.- ط1.- الكويت: مكتبة الفلاح، 1984. ص99.

وحمص وحماه وبعلبك وبانياس وغيرها، وحققوا بذلك ما لم يستطع تحقيقه الصليبيون من قبل.[1]

وكان من نتائج سقوط بلاد الشام في أيدي المغول وحلفائهم أن عم الرعب والخوف سائر أرجائها، فهرب الناس باتجاه الأراضي المصرية، وقد انغرس داخل نفوسهم نتيجة ما شاهدوه من الأهوال وبسبب ما حل بهم وببلادهم من الدمار والخراب والهلاك، وكانت القيادة الإسلامية بمصر تستقبل فلول المسلمين من العراق والشام وتجهز نفسها لمعركة فاصلة مع المغول.[2]

4 ـ موقف المغول من حضارة العرب ودينهم:

تمكن المغول من إسقاط الخلافة العباسية سنة 1258م[3] فكانت كارثة مروعة لاسيما بما يتصل بإنجازات الحضارة الإسلامية فقد دُمرت المكتبات وأحرقت الكتب، ويقال في إحدى الروايات أنهم وضعوا الكتب في نهر دجلة كي تعبر عليه الخيول فكانت كارثة حقيقية، حيث تحول لون النهر إلى اللون الأسود بسبب الكميات الهائلة من الكتب التي ألقيت فيه. لقد كان سقوط بغداد إنسانية، وعلمية، وحضارية، فقد قُتل آلاف من العلماء والشعراء، وشُرد مَنْ نجا منهم، وأُحرقت المكتبات، وخُربت المدارس، وقضي على الآثار الإسلامية، فدمر حصاد مئات السنين من التراث العربي.

الواقع أن أخطر ما نجم عن الغزوات المغولية وتوسع عناصر الرعاة ساكني استبس وسط أسيا هو التوسع على حساب المدن الحضارية (المراكز الحضارية) في المشرق ومن أمثلتها بخارى وسمرقند ونيسابور وغيرها من مراكز المشرق العظيمة.

1- السيد الباز العريني، المغول.- الطبعة الأولى.- بيروت: دار النهضة العربية، 1986. ص248.
2- علي محمد الصلابي، المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار. ص323. (نسخة إلكترونية)
3- السيد الباز العريني، المرجع نفسه. ص 132

وكانت تلك المدن تتمتع بازدهار اقتصادي غير مسبوق نظرًا لوقوعها على خطوط التجارة العالمية وكونها مراكز لنقل المنتجات الصينية إلى غرب أسيا، وكانت القوافل التجارية تأتي إليها، وحققت ازدهارًا ماديًا من خلال دورها في حركة الصادرات والواردات وتحولت لمراكز علمية كبيرة. وقد شهد كبار جغرافيي الإسلام على مدى ما كان لتلك المراكز من أهمية علمية كبيرة لاسيما وفرة خزائن الكتب وتوافر أعداد العلماء بها.

ويمكن اعتبار تلك المرحلة بأنها واحدة من أكثر مراحل تاريخ مدن الشرق ازدهارًا قبيل كارثة الغزو المغولي، والدليل على ازدهار تلك المدن ما نسمعه عن وجود كثافات سكانية كبيرة بها لاسيما من العلماء والتجار وطلبة العلم، ولذلك فإن الغزو المغولي سيدمر تلك المراكز بقسوة وسيجعلها كأن لم تكن. فقد ذبح المغول جميع أهل "نيسابور" وليتأكدوا من انهم ماتوا جميعًا قطعوا رؤوسهم، وعملوا منها ثلاثة أهرامات، هرمًا لرؤوس الرجال، وهرمًا لرؤوس النساء، وثالثًا لرؤوس الأطفال، حتى الأطفال لم يبقوا على حياتهم.[1] وهناك عبارة فارسية أوردتها المصادر عن أحد الرجال الذين فروا من مذابح المغول فقال: "لقد قدموا وذبحوا ونهبوا ثم انصرفوا" وهي تدل على الكارثة بعبارة موجزة، وتظهر لنا أن أهم ما يميز الغزو المغولي لتلك المدن الدمار والخراب والدماء.

أما المدن التي لم تتعرض لغارات المغول، فقد كانت تواجه موقفًا بالغ الخطورة والسبب أنها كانت تخشى أن تواجه موقف المدن السابقة، فهل تستسلم .. أم تواجه

1- فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ.- ط1.- بيروت: دار النهضة العربية، 1980. ص 308 – 312 (ج1). محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي (1096 – 1404م).- ط2.- بيروت: منشورات مؤسسة الرسالة، 1982. ص 75 (سلسلة وثائق الإسلام، 4). علي السيد علي، "الإسهام العسكري المصري في موقعة عين جالوت"، ضمن كتاب: الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية/ تحرير قاسم عبده قاسم.- ط1.- القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1999. ص 365 – 417

"على الرغم من أن مواجهة المغول كانت كارثة"؟ وهذا يبين لنا أن المغول كانوا يستعملون سلاحًا خطيرًا وهو "الحرب النفسية"، فكان المتبقون من كل مدينة يذهبون للمدن الأخرى الآمنة كي يرون قصص المذابح الدموية، وبالتالي وجدنا حاميات بعض المدن تستسلم للمغول قبل المقاومة لأنهم هُزِموا نفسيًا قبل الهزيمة العسكرية.

لقد تعرض المسلمون خلال حروبهم مع المغول إلى أهوال شديدة، وفظائع مزلزلة، فقد تفنن المغول في إيذائهم، فذبح الناس جميعًا لا فرق بين طفل وامرأة ورجل، وقد يذبح الطفل أمام والديه، وقد اعتدوا على أعراض النساء أمام الرجال وهم ينظرون. هذه الفظائع ما عرفت الإنسانية مثلها في تاريخها الطويل، قام بها أناس لا تعرف قلوبهم رأفة ولا رحمة، ولا تلين لبكاء أو استعطاف.[1]

والواقع أن سقوط المدن الثلاث الكبرى، بغداد وحلب ودمشق في أيدي المغول يعتبر من الكوارث الفاجعة التي هزت العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وترتب على سقوط دمشق في أيدي المغول أن أعلن المسيحيون بها التمرد والشموخ، ولم يخفوا فرحتهم بما حل بالمسلمين من نكبة، ولم يخف القائد المغولي كتبغا نفسه ما يكنه من الميل نحو هؤلاء المسيحيين وتردده إلى كنائسهم، وذهب بعضهم إلى هولاكو وأحضروا من عنده فرمانًا ينص على الاعتناء بأمرهم ودخلوا به البلد وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون حولها بارتفاع دينهم وانتضاع دين الإسلام، ورشوا الخمر على ثياب المسلمين وأبواب المساجد وألزموا المسلمين في حوانيتهم بالقيام للصليب، ومن لم يفعل ذلك أهانوه وأقاموه غصبًا، وطافوا وهم يحملون الصلبان ويدقون النواقيس في الشوارع إلى كنيسة مريم، وقام بعضهم أثناء المسيرة بإلقاء الخطب فبجل دين المسيح وانتقص دين الإسلام، وضجر المسلمون من ذلك وصعدوا مع قضاتهم

1- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي.- ط1.- الكويت: مكتبة الفلاح، 1984. ص186.

وشهودهم إلى نائب هولاكو بالقلعة، فلم يستجب لشكواهم وأخرجهم من القلعة بالضرب والإهانة.[1]

5 ـ معركة عين جالوت وسقوط الإمبراطورية المغولية:

ومما يذكر؛ أنه على مدى توسعات المغول كانوا يرسلون السفراء من أجل الحصول على الولاء والتبعية من قادة المناطق التي يهاجمونها، وفي النموذج المصري يذكر المقريزي في كتاب "السلوك" أن هولاكو قد وجه سفارة إلى مصر في أوائل يناير 1260م تطلب من السلطان قطز التسليم، وبالفعل وصل الرسل إلى مصر ولدينا نص الرسالة التي أرسلوها وبها تهديد ووعيد وبأن جيشهم عدده كالحصى من الكثرة، فما كان من قطز إلا أن اجتمع بالأمراء وأجمعوا على رفض التسليم وقتل الرسل، حيث قاموا بذبحهم وتعليق جثثهم على أبواب القاهرة، وسمح لفتى صغير معهم بالعودة، ليحدث المغول بما رأى، فتهتز معنوياتهم، وتعلو معنويات المسلمين.[2] وكان هذا الأمر بمثابة قبول التحدي المغولي في صورة مستفزة لهم، كما عكس استعداد المماليك لدخول حرب شديدة معهم، فإعداد الرسل كان بمثابة إعلان حرب مملوكية ضد المغول، فعلي مدى مسار المغول إلى المنطقة ندر أن تم معاملة سفرائهم بمثل هذه الطريقة.

وتجدر الإشارة إلى؛ أن المسيرة الطويلة للإغارات المغولية من الصين (شرقًا) حتى بلاد الشام (غربًا) أفادت المسلمين من حيث معرفة أساليبهم القتالية، وكيفية

1- علي محمد الصلابي، المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار.- القاهرة: الأندلس الجديدة، 2009. ص343.

2- خالد يونس الخالدي، "عَيْنُ جالوتْ... وانتصارُ الحقِّ على الطاغوتْ".- موقع التاريخ (altareekh.com).- منشور بتاريخ 4 سبتمبر 2010.

تعاملهم مع المدن ذات الكثافة السكانية، وبالتالي استفاد المماليك في مصر من رحلة المغول المتبربرة الطويلة من أقصى أسيا إلى أقصاها، فكان قطز على استعداد لملاقاتهم بعد معرفة أساليبهم العسكرية.

هذا وقد امتازت توسعات المغول بالسرعة الشديدة وعنصر المفاجأة والاستعداد العسكري الكبير، وكثافة أعداد المهاجمين، ثم الحرب النفسية الشرسة ضد أعدائهم، فكانت كل هذه العناصر عاملاً رئيسيًا في إرباك خصوم المغول،[1] فإذا ما أضفنا إلى ذلك أنهم حققوا انتصارات ضخمة من الصين (شرقًا) إلى بلاد الشام (غربًا) أدركنا أن قطز كان يواجه عدوًا تحول إلى أسطورة من الصعب أن تواجه، ولهذا نصف هذا الفارس العظيم أنه من "أعظم قادة الإسلام".[2]

الواقع أن تاريخ مصر يمتاز بأنه تاريخ كيان غير منغلق على نفسه، وإنما تاريخ متفاعل مع القوى السياسية فيما وراء حدود مصر، ويذكر الجغرافي العبقري جمال حمدان في كتابه شخصية مصر[3]، أن مصر وإن كانت جغرافيًا صنيعة أفريقية، إلا أنها تاريخيًا صنيعة أسيوية. ولهذا نجد أن تاريخ مصر على مدى العصور القديمة والوسطى بصفة عامة تلعب فيه أسيا دورًا بارزًا، وهناك ارتباط بين مصر وبلاد الشام في صورة "الشامصر" وهي عبارة رددها المؤرخ الكبير الراحل محمد عبد الهادي شعيرة. وقد

1- كان الهجوم المغولي السريع الكاسح قد منح هؤلاء المغيرين سلاحًا نفسيًّا خطيرًا: الرعب الذي كان ينقض على خصومهم من الداخل فيهزمهم قبل أن تلتمع السيوف أمام عيونهم. عماد الدين خليل، "عين جالوت: الواقعة والمغزى".- موقع التاريخ (http://altareekh.com).- منشور بتاريخ 5 ديسمبر 2010.

2- محمد مؤنس عوض، محاضرات، مرجع سابق.

3- شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، أصدر الصياغة الأولى له سنة 1387هـ 1967م (كتاب الهلال) في نحو 300 صفحة من القطع الصغير. وقد تفرغ لإنجاز صياغته النهائية لمدة عشر سنوات. صدر مكتملاً في أربعة مجلدات خلال السنوات بين 1401هـ -1981م: 1404هـ - 1984م يمزج في دراسته بين الجغرافية والتاريخ والسياسة وعلوم طبيعية وإنسانية و تطبيقية أخرى. يقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول: شخصية مصر الطبيعية، الجزء الثاني: شخصية مصر البشرية، الجزء الثالث: شخصية مصر التكاملية.

كشف الغزو المغولي عن الارتباط الوثيق بين مصر والشام، فالمماليك لم ينتظروا المغول حتى يصلوا إلى مصر وإنما واجهوا الأعداء في بلاد الشام وبالتحديد في عين جالوت مما عكس ذكاء المماليك في التعامل مع هذا العدو.

الواقع أن قطز شخصية من أعظم الشخصيات التي لم تنل حظها من تقدير المؤرخين، فنحن نعرف أن في التاريخ مظلمون ومنهم هذا الرجل، فقطز لم يجد مؤرخًا رسميًا يكتب عنه تاريخًا له طابع الدعاية السياسية، ولذلك لم ينل حقه الجدير به من التقدير على الرغم من أنه تولى زمام الأمور في فترة بالغة الصعوبة لاسيما في ظروف الصراع مع المغول. ومن الملاحظ أن المؤرخين الذين أرخوا للظاهر بيبرس عملوا على إبراز دور ذلك السلطان وإضعاف شأن قطز، ومعنى هذا أن في التاريخ شخصيات أنصفها المؤرخون وشخصيات لم ينصفوها، غير أن حقائق التاريخ وجدت لتعرف، ولذلك فإن قطز في مقابل صلاح الدين الأيوبي، إلا أن الفرق بين الاثنين أن صلاح الدين وجد كوكبة من المؤرخين الذين أبرزوا دوره على عكس قطز.[1]

الحقيقة أن التاريخ مواقف، ولكل موقف في التاريخ رجاله، فإذا كانت المواقف كبيرة والرجال أقزام اضطربت حركة التاريخ، أما إذا كانت الأحداث كبيرة والرجال كبار وند لها، رأينا التاريخ تاريخًا ناضجًا، وهذا هو الموقف نفسه فقطز من نوعية خاصة تستطيع مواجهة هذا الإعصار القادم من الشرق.[2] فالصراع بين المغول والمماليك كان يعتمد على زاويتين؛ الكفاءة الحربية وسرعة استغلال الوقت لتحقيق أكبر انتصار في أقل وقت ممكن، ومن ذكاء المماليك أنهم بادروا بلقاء المغول خارج حدود مصر وهو أمر جديد على القيادات الإسلامية التي واجهت المغول من قبل، فقد أخذ المماليك زمام المبادرة ليضمنوا تأمين البيت المصري.

1- محمد مؤنس، محاضرات، مرجع سابق.

2- انظر: ثروت عكاشة، إعصار من الشرق: جنكيزخان.- ط5.- القاهرة: دار الشروق، 1992.

التقى الجيش المملوكي بجيش المغول قرب مدينة بيسان في موضع يقال له عين جالوت يوم 3 سبتمبر 1260م/ 25 رمضان 658هـ،[1] وهناك جرت واحدة من أكبر المعارك الحاسمة في مرحلة القرون الوسطى[2] وكان النصر فيها للمسلمين.[3] فهي معركة ذات نتائج متعددة على كافة الأصعدة والمستويات[4]، فقد أوقفت حركة التوسع المغولي وجعلتها قاصرة على آسيا، ولم تتعداها إلى أفريقيا، كما أنها حمت الحضارة الإسلامية التي استقرت في مصر بعد سقوط بغداد. ويضاف إلى كل ذلك؛ أن المماليك أثبتوا أنهم بالفعل "داوية الإسلام" المدافعين عنه وعن أرضه وشعوبه، وبذلك اكتسبوا دعمًا شعبيًا كبيرًا. وبصفة عامة؛ خرج المسلمون من محنة المغول أكثر قدرة على التحدي، على الرغم من الخسائر البشرية والعمرانية الهائلة.[5]

1- نهى محمد نصر الدين، الدولة المملوكية الجديدة في مواجهة الخطر.- دورية كان التاريخية (القاهرة).- العدد الثاني؛ ديسمبر 2008. ص65 - 67.

2- وهذه شهادة المؤرخ الإنجليزي ستيفن رنسيمان في كتابه (الحروب الصليبية). ويرى البعض أن معركة عين جالوت تفوق في أهميتها بعض المعارك الحاسمة في العصور الحديثة، ذلك أنها لم تكن حربًا بين شعوب راقية متحضرة تحكمها القوانين، والقواعد، والأعراف، بل أن أحد الطرفين المتصارعين في صورة المغول كانوا شعبًا بربريًا ميالًا إلى سفك الدماء والتخريب والتدمير. انظر: عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري.- د. ط.- مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1410هـ، د.ن. ص131.

3- فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ.- ط1.- بيروت: دار النهضة العربية،1980. ص 308 - 312 (ج1). محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي (1096 - 1404م).- ط2.- بيروت: منشورات مؤسسة الرسالة، 1982. ص 75 (سلسلة وثائق الإسلام، 4). علي السيد علي، "الإسهام العسكري المصري في موقعة عين جالوت"، ضمن كتاب: الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية/ تحرير قاسم عبده قاسم.- ط1.- القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1999. ص 365 - 417

4- فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ.- ط1.- بيروت: دار النهضة العربية،1980. ص314-320.

5- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية: العلاقات بين الشرق والغرب.- الطبعة الأولى.- الجيزة: عين للدراسات والبحوث، 1999. ص 313

بعد هزيمة عين جالوت حاول المغول عدة محاولات لاستعادة مجدهم، ورد اعتبارهم وإرجاع سمعتهم الحربية التي تلطخت بالعار مع الجيش المملوكي، فقد شنوا عدة غارات وسيروا الحملات العسكرية لكي ينالوا من المماليك، فالحقد يملأ قلوبهم، والانتقام يتميز غضبًا في نفوسهم، أنهم كانوا أقوى جيوش العالم، والآن أصيبوا بالضعف والوهن وزالت هيبتهم.[1]

ويرى كلود كاهن أن ما حدث في عين جالوت هو انتصار عسكري محدود القيمة بالنظر إلى التفاوت في عدد المشاركين، بيد أنه كان عظيم الشأن من الناحية المعنوية، فقد تنبهوا إلى إمكانية التغلب على المغول، أو على الأقل الصمود في وجههم.[2] ويرى بروان بأن المعركة خدمت أوربا نفسها وحفظت مدنيتها، وهذا حق فإن المغول كانوا يطمحون لغزوها وتخريبها، ولكن تقليم أظافرهم في عين جالوت فضلاً عن عوامل أخرى صدّهم عن المضي في الطريق إلى نهايته.[3]

والجدير بالذكر؛ أن انتصار المماليك في معركة عين جالوت كان له دور كبير في إضعاف بقايا الوجود الصليبي على ساحل بلاد الشام، فالذي لا شك فيه أن الصليبيين أصيبوا بخيبة أمل كبيرة بعد ذلك النصر العظيم والذي حققه المسلمون ضد المغول في هذه المعركة، فسارع زعماؤهم ـ بعد أن أدركوا أن نهايتهم آتية لا محالة ـ بالتقرب إلى السلطان بيبرس، فعقد معهم معاهدات أملى شروطها بنفسه وقام في الوقت نفسه بإبرام سلسلة من المعاهدات والاتفاقات الودية مع الدول الأجنبية القريبة من بقايا الصليبيين في بلاد الشام، وتمكن من أحكام العزلة على الصليبيين وذلك بحرمانهم من أي معونة خارجية، الأمر الذي عجل باقتلاع جذورهم نهائيًا من ساحل بلاد الشام.[4]

1- علي محمد الصلابي، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك. ص141 (نسخة إلكترونية)

2- كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية/ ترجمة أحمد الشيخ.- ط1.- القاهرة: سينا للنشر، 1995. ص257

3- عماد الدين خليل، "عين جالوت: الواقعة والمغزى".- مجلة الأمة.- العدد التاسع، رمضان 1401هـ

4- السيد الباز العريني، المماليك.- د. ط.- بيروت: دار النهضة العربية، 1967. ص 49

ولاشك في أن موقعة عين جالوت تعتبر من المواقع الفاصلة في التاريخ، نظرًا لما ترتب عليها من نتائج خطيرة، فلو انتصر المغول في تلك الموقعة لفعلوا بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق والشام، ولمرت البلدان العربية بالشرق الأدنى في دور مظلم حالك طويل تحت حكم المغول، مما كان من الثابت أن يترك في تاريخها أثرًا خطيرًا بعيد المدى. ولكن انتصار المماليك في عين جالوت لم ينقذ مصر فحسب من وحشية المغول وهمجيتهم، بل أنقذ الشام أيضًا، لأن المغول غدوا بعد تلك الضربة القاصمة التي نزلت بهم في عين جالوت لا مقام لهم في الشام، ولا قوة تحميهم وتذود عنهم، اللهم إلا إذا جاءت موجة أخرى ضخمة من جوف آسيا لإعادة الكرة من جديد، وهو ما لم تعد تسمح به ظروف المغول الخاصة وأوضاعهم الداخلية.[1]

6 ـ المغول والصليبيين[2]

من الملاحظ؛ أن الخطر المغولي اتفق مع الخطر الصليبي في بعض النواحي: فقد استهدف كل منهما المسلمين، وكان الاستعمار في قارة أسيا سواء في الشرق أو وسط أو غرب القارة، ويتفق الخطران في أن الدماء والخراب رافق كل منهما. غير أن هناك عوامل

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى.- ط4.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1986. ص 1083(ج2). وأيضًا: عبد الحميد العبادي وآخرون، الدولة الإسلامية: تاريخها وحضارتها.- ط3.- القاهرة: مكتبة نهضة مصر، 1958. ص177 - 178

2- كان من آثار ظهور المغول في القرن الثالث عشر الميلادي كقوة جديدة على مسرح الأحداث، وما قاموا به من أعمال حربية وتدمير وقتل أن تنبه المسيحيون إلى التتار وإمكانية استغلال هذه القوة في محاربة المسلمين ومحاصرتهم من الشرق والغرب بين قوتين، الفرنج من ناحية الغرب، والتتار من ناحية الشرق. راجع؛ تحالف المغول مع الصليبيين ضد الإسلام ضمن كتاب: فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي.- ط1.- بيروت: جروس برس، 1995. ص81 - 90.

اختلاف: فقد قدم الصليبيون من أوربا فهي حركة أوربية كي تستقر في غرب أسيا في بلاد الشام، أما الحركة المغولية فهي حركة أسيوية قدمت من وسط أسيا واتجهت إلى الغرب. والحركة الصليبية صاحبتها الدماء في مراحل معينة خاصّة المرحلة الأولى من الغزو الصليبي بالنسبة للمدنيين، أما الغزو المغولي؛ فقد صحبه عدد كبير من القتلى، ولهذا فإن الغزو الصليبي كان أقل من الخطر المغولي في حجم التدمير. كما أن النطاق الجغرافي للحركة الصليبية نطاق محدود في بلاد الشام، أما الغزو المغولي فنطاقه متسع امتد من شرقي أسيا إلى غربها. وهناك من يعتقد أن الغزو المغولي كان أخطر من الغزو الصليبي على اعتبار أن المغول أتى خطرهم للمسلمين في وقت وجود الخطر الصليبي فأصبح المسلمين في مواجهة خطرين، وقد عبر ابن الأثير عن الموقف قائلاً: "لم يحدث أن نُكب المسلمين بكارثة مثل تلك الكارثة (كارثة الغزو المغولي)".

وهناك زاوية مهمة؛ وهي أنه باستمرار مناطق السهول الفيضية تكون مطمعًا للطامعين سواءً من مناطق صحراوية أو غيرها، وبالتالي فالحركتين نرصدهما على أساس أن سهول ووديان المنطقة كانت مطمعًا للغزاة، وكذلك خط تجارة الحرير وهو خط استراتيجي ذو أهمية كبيرة في العصور الوسطى، يبدأ من الصين ويتجه لغربها، ويمر بإيران وشمال العراق، ويمر إما في أسيا الصغرى إلى الدولة البيزنطية، أو لبلاد الشام، ثم إلى أسواق البحر المتوسط. وقد أراد المغول السيطرة على خط تجارة الحرير لوضع هذا الخط التجاري الخطير في قبضة قوة غير إسلامية، وهذا يبين لنا أن الدافع الاقتصادي وراء كل من الغزو الصليبي للمنطقة في أخريات القرن 5هـ/ 11م وكذلك الغزو المغولي في النصف الأول من القرن 7هـ/ 13م.[1]

وبالإضافة إلى ما تقدم؛ كان خوف الصليبيين من المغول أكثر من خوفهم من المسلمين، فالتجربة كانت قد أظهرت لهم أن المغول لم يتركوا دولا مستقلة تعيش

1- محمد مؤنس، محاضرات، مرجع سابق.

بجوارهم، ولكن حلفاءهم كانوا بالنسبة لهم مجرد تابعين.[1] وهناك اختلاف بين الغزو الصليبي والغزو المغولي في صورة أن الغزو المغولي الصليبي وجد له عشرات المؤرخين الذين كتبوا عنه سواء من المسلمين أو الصليبيين أو البيزنطيين. أما الغزو المغولي فالمؤرخين الذين أرخوا له كانوا أقل عددًا.

وربما يكون من المناسب هنا أن نشير إلى؛ أن الخطر التترى على العالم الإسلامي لم يكن بمثل فداحة الخطر الصليبي، حقيقة أن التتر قد زلزلوا أركان هذا العالم بعنفهم المدمر ولكنهم لم يلبثوا أن ذابوا في خضم الحضارة العربية الإسلامية، بل صاروا فيما بعد من المساهمين في بنائها والحفاظ عليها عندما اعتنقوا الإسلام.[2] وكان كل خطرهم كامنًا في تفوقهم العسكري الذي جعلهم يطوون البلاد بسرعة غريبة. أما الصليبيون فكانوا أصحاب مشروع لا يتحقق سوى بالقضاء على الوجود الحضاري للمسلمين؛ عربًا وغير عرب، ولم يكن العنف المدمر ينقصهم أيضًا، وكان الصراع صراعًا بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوربية الكاثوليكية. وكان الصليبيون يتحركون بدافع من إيديولوجية عنصرية تنكر حق الوجود على الآخرين، كما كانوا مهتمين بتفريغ المناطق السكانية لتوطين عناصر بديلة.[3]

1- عادل إسماعيل محمد هلال، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي.- ط1.- الجيزة: عين للدراسات والبحوث والنشر، 1997. ص100.

2- كان انتصار المماليك في عين جالوت نصرًا للإسلام، فقد دفع هذا الانتصار المغول الذي بقوا في غرب آسيا الصغرى إلى اعتناق الديانة الإسلامية حبًا في الإسلام ومبادئه. محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية (1095 – 1291).- ب.ط.- الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000. ص326

3- قاسم عبده قاسم، علي السيد علي، الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي والعسكري.- د. ط.- الجيزة: عين للدراسات والنشر، 1995. ص 140 – 141

الخلاصة:

كان استيلاء المغول على هذه الرقعة الفسيحة من العالم، وما تبع ذلك من ضروب القسوة البالغة التي أدت إلى انقراض دول، وذهاب عروش وملوك، وتقتيل آلاف من السكان، وتخريب مراكز الحضارة الإسلامية، دافعًا للمؤرخين ومشجعًا على تأريخ تلك الفترة، فصدق الموفق عبد اللطيف بن يوسف (557 – 629هـ) حين قال في خبر التتار: "هُوَ حديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ يُنْسِي التّواريخ، ونازلة تُصَغِّر كُلَّ نازلة، وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطّول والعرض".

التراث العربي المخطوط الضائع

"الكتاب نعم الذّخرُ والعُقدة هو، ونعم الجليس والعُدّة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونِعْمَ الأَنِيسُ لسَاعةِ الوَحْدَة، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخِيل، ونعم الوزير والنزيل"

الجاحظ (150 – 255هـ)

مقدمة:

كان المسلمون أصحاب تراث معرفي ضخم نتيجة لانتشار حركة التأليف والترجمة التي ملأت أرجاء الدولة الإسلامية، إلا أن نسبة ما وصلنا من ذلك الرصيد هو نسبة ضئيلة للغاية، حيث هلك الباقي بسبب تعرض العالم العربي والإسلامي إلى الحروب والغزوات والفتن الداخلية والخارجية، غير أن هذه النكبات لم تكن هي العامل الوحيد، إذ ساهمت بعض العوامل الأخرى في اندثار جانب كبير من تراثنا العربي والإسلامي والتي كان من أهمها سلوك العلماء أنفسهم. فقد تخلص العلماء من كتبهم وأتلفوها بوسائل عدة: كحرقها عمدًا مع سبق الإصرار، أو غسلها بالماء، أو دفنها في باطن الأرض، أو تطييرها في الهواء، أو تمزيقها ورميها في الهواء، أو تركها في الصحراء، أو إلقائها في الأنهار والآبار أو البحار، أو إعدامها والتخلص منها بطريقة أو بأخرى.

لقد أقام المسلمون نهضة علمية وثقافية كبرى كان من أهم نتائجها ذلك التراث الثقافي والفكري الضخم الذي عكف على إنتاجه تأليفًا وترجمةً العلماء العرب والمسلمون على مر التاريخ والذي كانت تزخر به خزائن الكتب العربية في العصور الوسطى. فلقد كان للكتاب أهمية ومكانة كبيرة في نفوس المسلمين، مما كان له أكبر الأثر في انتشار المكتبات في طول البلاد وعرضها، حيث حرص الحكام والخلفاء المسلمون على تزويد تلك المكتبات بالكتب والمخطوطات القيمة، وتوفير المخصصات المالية لهذا الغرض.

في الحقيقة؛ إن تاريخ الكتاب الإسلامي والمكتبة الإسلامية هو في الواقع شيء واحد يعبر عن تاريخ الفكر الإسلامي في مختلف عصوره، فقد لعب الكتاب والمكتبة

الإسلامية دور هام في نشر الثقافة بين المسلمين مما ساهم في تقدم وازدهار الحضارة العربية الإسلامية في القرون الوسطى. إلا أنه هناك عدد من العوامل التي أثرت على مصير ذلك التراث كان من أهمها الحروب والغزوات الداخلية والخارجية التي تعرض لها العالم الإسلامي، حيث دُمرت الكثير من المكتبات، كما كان للمحن والبلايا مثل المجاعات وحالات الغلاء والفقر والتي كانت كثيرًا ما تعصف بالبلاد الإسلامية، أثر كبير على مصير الكتاب الإسلامي الذي تعرض للسلب والنهب والتدمير. أضف إلى ذلك السرقة، والجهل، والتعصب، والفتن، والإهمال، وعدم أمانة المشرفين على المكتبات.

لكن المصادر التاريخية وكتب التراجم ذكرت لنا أخبار بعض العلماء والمؤلفين وجامعي الكتب الذين أقدموا على إتلاف كتبهم الخاصة، وذلك ندمًا عن الانشغال بها عن عبادة الله، أو خوفًا من أن تضل تلك الكتب غيرهم، أو خوفًا من أن توضع الكتب في غير موضعها بعد وفاتهم، أو ضنًا بها على مَنْ لا يعرف جدواها، أو مَنْ لا يستحقها، أو لنقصٍ بدا فيها، أو لأي عارض آخر بدا له.[1] وأيًا كانت المسوَّغات، فمما لا شك فيه؛ أن مثل هذا الصنيع ومثل هذه العادات أضاعت علينا ثروة كثيرة من التراث الفكري المخطوط في مختلف مجالات المعرفة.

لقد تخلص العلماء من كتبهم وأتلفوها بوسائل عدة،[2] كحرقها عمدًا مع سبق الإصرار، أو غسلها بالماء، أو دفنها في باطن الأرض، أو تطييرها في الهواء، أو تمزيقها

1- شعبان خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997. ص 252. أحمد بن عبد الله الباتلي، علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو مُحيت.- الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، 2002. ص7.

2- راجع: نوفل محمد نوري، "إتلاف الكتب في الحضارة العربية الإسلامية: دراسة تاريخية في أسبابها في العصر العباسي (132 – 656هـ)".- مجلة التربية والعلم (جامعة الموصل).- المجلد (17)، العدد (4)، 2010. ص 30 – 51.

ورميها في الهواء، أو تركها في الصحراء، أو إلقائها في الأنهار والآبار أو البحار، أو إعدامها والتخلص منها بطريقة أو بأخرى. وسوف نعرض بعض الأمثلة التوضيحية عن سلوك العلماء في التخلص من كتبهم وفقًا لما ذكرته المصادر التاريخية وكتب التراجم.

1 ـ حرق الكتب

وهي أشهر طرق إتلاف الكتب، حيث استعملت في الساحات العامة، وغالبًا هي طريقة السلطة في التعبير عن رفضها العلني لكتب وأفكار معينة.[1] وقد بدأت ظاهرة حرق الكتب بصفة متعمدة في العالم العربي والإسلامي منذ أواخر القرن الهجري الأول، ومن الأمثلة على ذلك:

عروة بن الزبير (ت. 93هـ) الذي حرق كتبًا له فيها فقه سنة 63هـ، ثم ندم على ذلك فقال: "لأن تكون تلك الكتب عندي أحب إلي من أن يكون لي مثل أهلي ومالي".[2] والحسن البصري (21 –110هـ) إمام التابعين في زمانه، روى ابن سعد في طبقاته عن موسى بن اسماعيل قال: حدثنا سهل بن الحصين الباهلي قال: بعثت إلى عبدالله بن الحسن البصري: ابعث إلي بكتب أبيك، فبعث إلي أنه لما ثقل قال لي: اجمعها لي، فجمعتها له، وما أدري ما يصنع بها، فأتيت بها فقال للخادمة: "اسجري التنور، ثم أمر فأحرقت".[3]

1- راجع: علي عفيفي علي غازي، "حرق الكتب في التراث العربي الإسلامي".- مجلة أدب ونقد.- ع336، فبراير 2014.

2- ابن سعد: محمد بن مَنِيع، الطبقات الكبرى.- ليدن: مطبعة بريل، 1904. (ج7، ص 183). الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام.- القاهرة: مطبعة السعادة، 1368هـ. (ج4، ص 32).

3- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء.- بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988. (ج4، 584).

أما أبو عمر بن العلاء بن عمار المازني (ت. 154هـ) أحد القراء السبعة المشهورين، وإمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة، فقد قام بإحراق دفاتره التي ملأت بيته إلى السقف بسبب تنسكه.[1] وذكر ياقوت الرومي (ت. 626هـ) قول أبي سليمان الدرني (ت. 215هـ)، أنه "جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك".[2]

وأوصى محمد بن عمر، أبو بكر الجعابي الحافظ (ت. 355هـ)، بأن تحرق كتبه بعد موته، فأحرقت. قال الأزهري إن ابن الجعابي لما مات أوصى أن تحرق كتبه فأحرقت وكان فيها كتب للناس.[3] فقال: حدثني أبو الحسين ابن البواب أنه كان له عنده مائة وخمسون جزءًا فذهبت في جملة ما أحرق. وروى عن الدارقطني قوله: "أخبرت بعلة الجعابي فقمت إليه فرأيته يحرق كتبه فأقمت عنده حتى ما بقى منه شيء".[4]

أما أبو سعيد السيرافي (ت. 385هـ) الذي يُعدّ من كبار العلماء فقد أوصى ولده محمد بقوله "قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل فإذا رأيتها تخونك، فاجعلها طعمه للنار".[5] لقد ذكر ياقوت الحموي في "معجم الأدباء" أن اسماعيل بن حماد الجوهري (ت. 398هـ) أحد علماء اللغة وصاحب كتاب اللغة وصحاح العربية،

1- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1968. (ج1، ص 414 - 415). ابن العماد: عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب.- بيروت: المكتبة التجارية، 1966. (ج1، ص237).

2- ياقوت الرومي: أبو عبد الله، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب).- بيروت: دار الكتب العلمية، 1991. (ج3، ص 345 - 348).

3- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ميزان الاعتدال في نقد الرجال/ تحقيق: علي محمد البجاوي.- بيروت: دار المعرفة، 1963. (ج5؛ ص 117)

4- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. (ج3، ص31).

5- ياقوت، معجم الأدباء، ج15، ص 21 - 22.

عرضت له في آخر حياته وسوسة قهرية فحرق كتبه كلها، ثم صعد على سطح الجامع في نيسابور فقال: أيها الناس إني قد عملت في الدنيا شيئًا لم اسبق إليه (يقصد مجمعه الصحاح) وزعم أنه يطير، ثم قفز من أعلى الجامع فمات.[1]

وقد أحرق أبو حيان (ت. 400 هـ) كتبه النفيسة، وكتب لصديق له مفسرًا ذلك بقوله: "إن العلم حاطك الله يرد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرًا عن العلم، كان العمل كلا على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلا وأورث ذلا -علمك الله الخير- أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سرًا فلم أجد له مَنْ يتحلى بحقيقته راغبًا، وأما ما كان علانية فلم أصب مَنْ يحرص عليه طالبًا، على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المنالة منهم، ولعقد الرياسة بينهم، ولمدة الجاه عندهم، فحُمرت ذلك كله، وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة عليَّ لا لي".[2]

ومن ذلك أيضًا ما فعله الشاعر أبو سعيد بن أبي الخيرات (ت. 467هـ) وكان يحفظ عن ظهر قلب ثلاثين ألف بيت لشعراء الجاهلية، وعندما بلغ السادسة والعشرين سمع درسًا لأحد المشايخ يدور حول قوله تعالى: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" (سورة الأنعام: الآية 91)، فما كاد يسمع هذه الآية حتى جمع كتبه كلها وأحرقها، ثم آوى إلى ركن في بيته وجلس فيه سبع سنين يذكر فيها اسم الله.[3]

1- ياقوت، معجم الأدباء، ج6، ص 157.

2- عابد سليمان المشوخي، "أثر العوامل البشرية في ضياع التراث العربي الإسلامي".- تراثيات (يصدرها مركز تحقيق التراث).- القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.- ع9 يناير 2007. ص 34.

3- وسام منير عبد الرحمن، مصائر الكتب الإسلامية.- القاهرة: جامعة الأزهر، 2007. ص 191. (أطروحة ماجستير)

ومن العلماء المشهورين الذين أحرقوا كتبهم أبو الفرج بن الجوزي (ت. 510هـ) فقد كان يملك كتبًا كثيرة أُحرقت بإشارة منه.[1] والبعض أحرق كتبه خوفًا من الاستيلاء عليها، فقد ذُكر أن الحسين بن الحسين بن عبد الله، أب الحكم الكلبي، ابن حسون (ت. 547 هـ) وهو قاض في الأندلس أيام ملوك الطوائف، وكان في جواره بعض المرابطين فواصلوا الغارات عليه، كما اتفق عليه أهل البلد فثاروا عليه وقتلوا أخًا له كان قائد جيشه، فضاع رشده، وقتل بعض بناته غيرة عليهن من السبي، وأطلق النار في كتبه فأحرقها.[2]

وممَنْ أحرق كتبه تغري برمش بن يوسف (ت. 820هـ).[3] وكذلك أوصى جعفر البرساوي (ت. 950هـ) بإحراق كتاب له ألفه في الهزل سماه "دافع الغموم" حيث ندم على تأليفه، ولزم أن يشتريه ممَنْ لقيه عنده ويحرقه بالنار.[4]

2 ـ إغراق الكتب

إن المتصفح للمصادر التاريخية يجد أخبار عن لجوء بعض العلماء إلى رمي مصنفاتهم وكتبهم في البحار والأنهار، وذلك للتخلص منها، ومن أمثلة هؤلاء:

داود بن نصير الطائي (ت. 165هـ)، كانت له مكتبة خاصة ضمت العديد من الكتب الفقهية واللغوية والأدبية، إلا أنه عمد إلى تفريغها في مياه نهر الفرات، وقال يناجيها: "نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل عند الوصول، عناء وذهول، وبلاء

1- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص 377.
2- خير الدين الزركلي، الأعلام.- ط5.- بيروت: دار العلم للملايين، 1980. (ج2، ص 235)
3- ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي/ تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985. (ج4، ص 57)
4- الغزي: محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة.- بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979. (ج2، ص 133).

وخمول". وفي ذلك ضياع ثروة فكرية كبيرة.[1] وذكر السلمي نقلًا عن محمد بن عبد الله الطبري قوله: إنه سمع يوسف بن الحسين يقول: طلب أحمد بن أبي الحواري (ت. 240هـ) العلم ثلاثين سنة، ثم حمل كُتُبه كلَّها إلى البحر، فغرَّقها.[2] وممَنْ تخلص من مصنفاته في النهر؛ أحمد بن محمد بن الخلال (ت.311هـ)، فقد رمى بجملة من سماعاته القديمة في نهر دجلة.[3]

وجاء في ترجمة ابن العريف الصنهاجي المقرئ (ت.539هـ)، صحاب المقامات والإشارات أنه "ممَنْ ضرب عليه الكمال رواق التعريف، فأشرقت بأضرابه البلاد، وشرقت به جماعة الحسَّاد، حتى سعوا به إلى سلطان عصره، وخوفوه من عاقبة أمره، لاشتماله القلوب عليه، وانضواء الغرباء إليه، فغرَّب إلى مراكش، ... فاستوحش، فغرَّق في البحر جميع مؤلفاته، فلم يبق منها إلا ما كُتب منها عنه".[4]

وفي ترجمة صفي الدين أبي السرور القاضي أحمد بن عمر المزجد الزبيدي (ت.930هـ)، وهو ممَنْ اشتغل بالفقه وأصوله والحديث وعلومه والحساب والفرائض، وبرع في علوم كثيرة، وتميز بفقه الإمام الشافعي. قال حفيده أبو الفتح بن حسين المزجد عنه: "كان جدي شرح جامع المختصرات للنسائي في ستة مجلدات، ثم لما رآه لم يستوف ما حواه الجامع المذكور من الجمع والخلاف ألقاه في الماء فأعدمه".[5] وذكر المحبى، أن عبد الله الكردي (ت.1003هـ)، "اشتغل بالعلوم أولا وفاق أقرانه، ثم غلب عليه الحال، ورمى كتبه في الماء".[6]

1- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج15، ص 21.

2- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص 88.

3- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص 155.

4- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص 111 – 113.

5- العيدروس: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1985. ص 127.

6- المحبي: محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت: دار صادر، د.ت. (ج2، ص 85)

3 ـ تمزيق وإتلاف الكتب

ومن الطرق الأخرى التي لجأ إليها بعض العلماء للتخلص من مصنفاتهم وكتبهم، القيام بتمزيقها وبعثرتها في الهواء، وممَنْ قام بذلك:

سفيان الثوري (ت. 161هـ)، حيث أقدم على تمزيق ألف جزء وتطييرها في الريح وقال: "ليت يدي قُطعت من ها هنا بل من ها هنا ولم أكتب حرفًا".[1] وقد أدى الجفاء بين العلماء إلى إتلاف الكتب، فقد ذُكر أن الإمام الحافظ مسعود بن أحمد بن زيد العراقي (ت. 71هـ) عمد إلى إعدام مسودة كتاب "الإمام لابن دقيق العيد"، بعد أن كان أكمله، فلم يبق منه إلا ما كان بيض في حياة مصنفه.[2] ومن العلماء الذين قاموا بإتلاف كتبهم، عماء الدين التبرباج (ت. 855هـ)، نظم ديوان شعر، ثم قام بإتلافه وهو حي يرزق ضنًا بكرامته وإعلاء لشأن الأدب على زعمه.[3]

وممَنْ أتلف كتبه، أبو ذر الحافظ، أحمد بن إبراهيم (ت. 884هـ)، يقول السخاوي عنه: "... فنون الأدب برع فيها، وجمع فيها تصانيف نظمًا ونثرًا ثم أذهبها حسبما أخبرني به عن آخرها، ومن ذلك: عروس الأفراح فيما يقال في الراح، وعقد الدرر، والآل فيما يقال في السلسال، وستر الحال فيما قبل في الخال، والهلال المستنير

1- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج15، ص 22.

2- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.- بيروت: دار الجيل، د.ت. (ج4، ص347)

3- محمد راغب بن محمود الطباخ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.- حلب: المطبعة العلمية، 1925. (ج5، ص 254).

في العذار المستدير، والبدر إذا استنار فيما قيل في العذار".[1] وسعيد بن أحمد العدني (ت. 884هـ)، قدم إلى عدن واستوطنها واقتنى كُتبًا نفيسة، وكان ضنيًا بها، واستولى على عدة خزائن فأعدمها.[2] وأبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبي بكر السخاوي (ت. 902هـ)، أمر بإحضار كتبه وإتلافها فأتلفت.[3]

4 ـ غسل الكتب

من الأساليب التي أدت إلى ضياع الكثير من كتب التراث العربي الإسلامي المخطوط قيام بعض العلماء بغسل مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم، وقد يقوم بهذا العمل بعض النُساخ وغيرهم من الوراقين، وذلك بأن يضعوا الكتب أو أوراق المخطوطات في الماء لمدة معينة من الزمن؛ مما يؤدي إلى تحلل الحبر، وطمس الكتابة وضياعها بهدف التخلص مما فيها من أقوال وآراء لا يرغب صاحبها في الإبقاء عليها، متبرئًا مما كتب، وتائبًا إلى الله مما صنع، أو لدواع أخرى مختلفة. وقد يلجأ البعض منهم إلى محو الكتابة مستخدمًا قطعة من القماش المبلولة لإزالة الكتابة، وكان غسل الكتابة يعبر عنه أحيانًا بلفظ "محو الكتابة".[4]

ومن الأخبار الواردة في غسل الكتب أو محوها، ما أورده الذهبي في ترجمة الفقيه المرادي الكوفي (ت. 72هـ)، الذي طلب إحضار كتبه قبل وفاته فمحاها.[5]

1- السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت. (ج1، ص 198)

2- السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، ص 254.

3- العيدروس: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1985. ص 16.

4- عابد سليمان المشوخي، "أثر العوامل البشرية في ضياع التراث"، ص 39.

5- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 40 – 43.

ومن العلماء الذي أقبلوا على غسل كتبهم، شعبة بن الحجاج (ت. 160هـ)،[1] وأبو غالب الذهلي "فارس بن الحسين بن بشير الذهلي" (403-507هـ)،[2] وعلي بن طلحة بن كردان النحوى (ت. 424هـ)،[3] والمبارك بن المبارك أبي طالب الكرخي (ت. 585هـ).[4] ومن الشعراء؛ محمد بن علي بن المطلب (ت. 478هـ)،[5] وعاصم بن الحسن الكرخي (ت. 483هـ)،[6] وشجاع بن فارس السهروردي (ت. 507هـ)،[7] وأبا بكر السمعاني التميمي (ت. 510هـ)،[8] وعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلى (ت. 601هـ) [9] وصدر الدين بن الوكيل (ت. 716هـ)،[10] وابن أبي السعود أحمد بن إسماعيل (ت. 870هـ).[11]

1- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص 202.
2- ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/ دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1992. (ج17، ص 134).
الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، تذكرة الحافظ/ تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.- بيروت: دار الفكر العربي، 1955. (ج4، ص 1240).
3- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج7، ص 13.
4- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص230.
5- ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص24.
6- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان.- بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1390هـ. (ج3، ص 134).
7- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص 355.
8- اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص 29.
9- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص132.
10- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ضبط وتصحيح: عبد الوارث محمد علي.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. (ج4، ص 72 - 77).
11- السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، ص 231.

5 ـ دفن الكتب

من الظواهر الغريبة التي حدثت في التاريخ العربي الإسلامي قيام بعض المؤلفين والعلماء بدفن كتبهم، أو الزج بها في إحدى المغارات، وهذا الفعل يُعَدّ من المصائب التي ابتلى بها التراث العربي الإسلامي المخطوط، نتيجة التعصب، أو قلة التدبير. ومن العلماء الذي فقدنا مخطوطاتهم نتيجة هذا التصرف نذكر: أبو عمرو بن العلاء (ت. 154هـ)،[1] وعلي بن سليمان (من علماء القرن 2هـ).[2] وممَنْ دفن خزانة كتبه: علي بن مسهر القرشي (ت. 189هـ)،[3] وعطاء بن مسلم الخفاف (ت. 189هـ)،[4] وأبي كريب محمد الهمداني (ت. 248هـ).[5]

ودفن يوسف بن أسباط (ت. 199هـ) كتبه،[6] ودفن الإمام الشافعي (ت. 204هـ) ما عنده من كتب في علم النحو،[7] وقام مؤمل أبو عبد الرحمن بن إسماعيل العدوي (ت. 306هـ) بدفن كتبه،[8] وأوصى ابن الحذاء القرطبي، محمد بن يحيى بن أحمد

1- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج15، ص21.

2- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص 428.

3- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص 426 – 428.

4- الرازي: عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل.- حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، 1952 – 1953. (ج6، ص 336).

5- ابن طاهر القيسراني، تذكرة الحافظ/ تحقيق: حمدي السلفي.- الرياض: دار الصميعي، 1415هـ. (ج2، ص497).

6- ابن الجوزي: جمال الدين أب الفرج عبد الرحمن، صيد الخاطر/ تحقيق: السيد محمد سيد، سيد إبراهيم.- القاهرة: دار الحديث، 1996. ص36.

7- أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفدا).- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1968. (ج2، ص 26 – 27).

8- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب.- حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، 1327هـ. (ج10، ص 380).

(ت. 416هـ) أن يدفن كتابه "الإنباه عن أسماء الله" على صدره. وجاء في ترجمة الحافي، بشر بن الحارث بن عبد الرحمن، ابن عطاء أبو نصر المرزوى (ت. 667هـ)، قول الخطيب عنه: "كان كثير الحديث، إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك". وذكر ابن حجر أن ابن أبي حجلة، أحمد بن يحيى ابن أبي بكر التلمساني (ت. 776هـ) أمر عند موته أن يوضع مصنفه الذي عارض فيه قصائد ابن الفارض في نعشه، بل يدفن في قبره.[1] وقد ذكر السخاوي أن من العلماء مَنْ ترك كتبه في البرية وهو أبا بكر بن محمد بن شادي الحصني الشافعي (ت. 881هـ).[2]

الاستنتاج:

إن الباحث عن التراث العلمي الضائع للأمة سوف يجد جملةً من العوامل أثرت على مصيره، ولكنه سوف يقف مشدوهًا أمام سلوك العلماء أنفسهم الذي قضى على جانب كبير من تراثنا العربي والإسلامي والذي كان بمثابة المكتبة الإسلامية في القرون الوسطى، أي أنه كان من أهم معالم الحضارة العربية الإسلامية في ذلك الوقت.

انعكس ضياع ذلك التراث سلبًا على استكمال موضوعات وعناوين يحتاجها طالب العلم والعالم معًا فضلاً عن مثقفي الأمة، فهناك عناوين لمؤلفات لدى ابن النديم، والقفطي، وابن أبي أصيبعة، وغيرهم من أصحاب كتب الفهارس والتراجم، إلا أننا لا نجد لتلك المؤلفات أثرًا سوى ذكر اسمها في سياق ترجمة أعمال هذا المؤلف أو ذاك، مما يجعل من إمكانية التواصل الثقافي في حياة أي أمة منقوصًا.

1- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، ص 329.
2- السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج11، ص 76.

خاتمة:

ويبقى لنا أن نوضح؛ أن تلك الظاهرة الغريبة لم تكن قاصرة على العلماء المسلمين فقط، وإنما كانت تحدث عند الغربيين في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، وذلك عندما كان الرهبان في الأديرة يحرقون كتبهم ربما لنفس الأسباب التي كان المسلمون يحرقون كتبهم من أجلها.[1] كذلك ينبغي لنا أن نؤكد أنه لم يكن هذا هو حال العلماء المسلمين بصفة عامة، فكم منهم مَنْ كان كانت كتبه أعز شيء لديه، وخير دليل على ذلك قول الجاحظ (150 – 255هـ): "الكتاب نعم الذّخرُ والعُقدة هو، ونعم الجليس والعُدَّة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونِعْمَ الأَنِيسُ لِسَاعةِ الوَحْدَة، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخِيل، ونعم الوزير والنزيل".[2]

1- عبد الستار عبد الحق الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1991. ص 42 – 43.

2- الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان/ تقديم: أحمد فؤاد باشا، عبد الحكيم راضي.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004. (مجلد1، ص 38).

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر (المدونات التاريخية الكبرى)

- ابن أبي أصيبعة: (موفق الدين أب العباس ت 668هـ/ 1270م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، ب.ط، بيروت، ب.ت.
- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة/ تحقيق: عبد السلام الهراس.- بيروت: دار الفكر، 1995. (ج1).
- ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي أبو علي الصدفي.- القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967.
- ابن الجوزي: جمال الدين أب الفرج عبد الرحمن، صيد الخاطر/ تحقيق: السيد محمد سيد، سيد إبراهيم.- القاهرة: دار الحديث، 1996.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/ دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1992.(ج17)
- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة/ تحقيق: محمد عبد الله عنان.- القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973. (ج3)
- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في مَنْ لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1963.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت. (ج3).
- ابن العماد: عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب.- بيروت: المكتبة التجارية، 1966. (ج1).
- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس.- القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1996. (ج1)

- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939. (مج2)
- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1979. (ق4/ مج1).
- ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وحديثهم وفقهائهم وأدبائهم/ تحقيق: عزت العطار الحسيني.- القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994. (ج1)
- ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي/ تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985. (ج4)
- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.- بيروت: دار الجيل، د.ت. (ج4)
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ضبط وتصحيح: عبد الوارث محمد علي.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. (ج4).
- ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب.- حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، 1327هـ. (ج10).
- ابن خلدون، المقدمة/ تحقيق: علي عبد الواحد وافي.- القاهرة: مجلة البيان العربي، 1958.
- ابن خلدون، المقدمة/ تحقيق: علي عبد الوافي.- القاهرة: دار نهضة مصر، 1981. (ج2).
- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1968. (ج1).
- ابن خلكان، وفيات الأعيان/ تحقيق: محي الدين بن عبد الحميد محمد.- 1369هـ (ج5).
- ابن سعد: محمد بن مَنِيع، الطبقات الكبرى.- ليدن: مطبعة بريل، 1904. (ج7).
- ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حُلي المغرب/ وضع حواشيه: خليل المنصور.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. (ج2)
- ابن سعيد المغربي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى/ اختصار: محمد بن عبد الله بن خليل؛ تحقيق: إبراهيم الإبياري.- القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1959.
- ابن طاهر القيسراني، تذكرة الحافظ/ تحقيق: حمدي السلفي.- الرياض: دار الصميعي، 1415هـ. (ج2).

- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابّي الموصل والصلة/ تحقيق: محمد بن شريفة.- بيروت: دار الثقافة، 1960. (السفر الأول).
- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، 1964. (السفر الرابع).
- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/ تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور.- القاهرة: دار التراث، 1974. (مج1).
- أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفدا).- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1968. (ج2).
- أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض/ تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939 - 1942. (ج2).
- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار صادر، 1978.(ج1).
- الإمام الشاطبي بن اسحاق، الاعتصام.- القاهرة: مطبعة المنار، 1914. (ج2).
- البيروني: (أبو الريحان محمد بن أحمد ت 440هـ/ 1048م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحرير إدوار سخاو، ليبزج 1923؛ تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، تحقيق ب. بولجاكوف، معهد المخطوطات العربية، الطبعة الثانية، القاهرة 1995.
- الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان/ تقديم: أحمد فؤاد باشا، عبد الحكيم راضي.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004. (مجلد1).
- الحافظ المنذري (656هـ)، مختصر سنن أبي داود.- القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1948.
- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس.- القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.
- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. (ج3).
- الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، تذكرة الحافظ/ تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.- بيروت: دار الفكر العربي، 1955. (ج4).

- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ميزان الاعتدال في نقد الرجال/ تحقيق: علي محمد البجاوي.- بيروت: دار المعرفة، 1963. (ج5)
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام.- القاهرة: مطبعة السعادة، 1368هـ. (ج4).
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء.- بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988. (ج4).
- الذهبي، تذكرة الحفاظ.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1377هـ. (مج2/ ج2).
- الرازي: عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل.- حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، 1952 - 1953. (ج6).
- السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت. (ج1)
- شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (661 - 728هـ)، الحسبة في الإسلام.- القاهرة: المطبعة السلفية، 1378هـ.
- الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.- القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب/ تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي.- القاهرة: دار الاستقامة، 1949. ص47. المقري، نفح الطيب، (ج2).
- عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تحقيق: أحمد بكير محمود.- بيروت: دار الحياة، (د.ت). (مج2/ ج3).
- الغزي: محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة.- بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979. (ج2).
- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة.- بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1959.
- الفارابي، رسالة في السياسة الشرعية: مجموعة رسائل/ تحقيق: محمد حسن الشافعي، وأحمد فريد المزيدي.- بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
- الفارابي، كتاب السياسة المدنية، تونس: سيراس للنشر، 1994.
- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية.- القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، 1973.

- المحبي: محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت: دار صادر، د.ت. (ج2)
- النباهي، تاريخ قضاة الأندلس (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا).- القاهرة: دار الكاتب المصري، 1948.
- الهمذاني: (رشيد الدين)، جامع التواريخ، تحقيق يحي الخشاب وآخرون، المجلد الثاني- الجزء الأول، ب.ط، القاهرة 1960.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان.- بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1390هـ. (ج3).
- ياقوت الحموي: (شهاب الدين ابو عبد الله ت676هـ/ 1228م)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1991.
- ياقوت الرومي: أبو عبد الله، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب).- بيروت: دار الكتب العلمية، 1991. (ج3).
- ياقوت الرومي، معجم الأدباء.- القاهرة: دار الفكر، 1980. (ج3).

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة

- إبراهيم سليمان الكروى، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، ب.ط، الإسكندرية1999.
- أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الثانية، القاهرة1962.
- أثير أنور شريف، "الفكر الإداري عند الفارابي: دراسة تاريخية تأصيلية".- المجلة العربية للإدارة.- المجلد (32)، ع1 – يونيو (حزيران) 2012.
- أحمد بن عبد الله الباتلي، علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو مُحيت.- الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، 2002.
- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، ب.ط، ب.م، ب.ت.
- أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي.- الرباط: كلية الآداب، 1993.

- أحمد عبد الرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة 1991.
- أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العم والحضارة، دار المعارف، الطبعة الثانية، القهرة1984.
- أحمد مدحت إسلام، علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، دار الفكر العربي، ب.ط، القاهرة 1999.
- أحمد مظهر العظمة، الإسلام ونهضة الأندلس.- القاهرة: المكتب الفني للنشر، 1959.
- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، ب.ط، بيروت 1967.
- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.
- ادوار بروي، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد - فريدوم داغر، المجلد الثالث، عويدات للنشر، الطبعة الرابعة، بيروت 1998.
- أشرف صالح محمد، "الإدارة المكتبية عند الرواد المسلمين".- مجلة الوعي الإسلامي (الكويت).- ع590؛ أغسطس 2014.
- أشرف صالح محمد، "الأندلس: المجد الزائل".- مجلة نسمات (كلية الآداب- جامعة عين شمس).- العدد الثاني؛ أبريل 1420هـ/ 2000م.
- أشرف صالح محمد، "حضارتنا المتألقة في العصور الوسطى".- مجلة الوعي الإسلامي (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) الكويت.- ع581 محرم 1435هـ (نوفمبر- ديسمبر) 2013.
- أشرف صالح محمد، الآثار الباقية عن البيروني.- ط1.- القاهرة: دار النشر الإلكتروني كتب عربية، 2007.
- أشرف صالح محمد، "المنهج العلمي عند البيروني من خلال كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية".- مجلة التاريخ العربي (فصلية، علمية، محكمة تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة).- ع 54 خريف 2010.

- أشرف صالح محمد، "القيادة الإدارية في فكر الفارابي".- مجلة التعريب (نصف سنوية مُحَكَّمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر - دمشق).- السنة (35) العدد (48) حزيران (يونيو) 2015.
- أشرف صالح محمد، "التراث الفكري الضائع في التاريخ العربي الإسلامي".- مجلة آفاق الثقافة والتراث (فصلية ثقافية تصدر عن مركز جمعة الماجد - الإمارات).- العدد (92) ديسمبر 2015.
- آلدو مييلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم البخار - محمد يوسف، دار القلم ، الطبعة الأولى، القاهرة 1962.
- ألفرد هيسيل، تاريخ المكتبات/ ترجمة: شعبان عبد العزيز خليفة.- القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1993.
- الإمام أحمد بن حنبل (ت. 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ضبط وتعليق: أحمد شاكر.- القاهرة، دار المعارف، 1951. (ج10).
- أمين الطاهر شقليلة، "علم الفلك عند العرب بين التنجيم وعلم النجوم"، ضمن كتاب التراث العلمي في العلوم الأساسية، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، بيروت 1991.
- أنجل حنثاليث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي/ نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1955.
- أنور الجندي، القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، مطبعة الرسالة، ب.ط، ب.م، 1969.
- أنور محمود زناتي، أندلسيات: دراسات متفرقة في الفن والأدب واللغة والتاريخ.- الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2013.
- بطرس البستاني، موسوعة الحضارة العربية، دار الكلمات للنشر، ب.ط، ب.م، ب.ت.
- توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنةً بالحضارة الغربية.- المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، 1988.
- جلال مظهر، حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، مكتبة الخانجي، ب.ط، القاهرة 1972.
- حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس.- القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.

- حسام الغرباوي، "الفارابي بين أفلاطون وأفلوطين".- مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (جامعة بغداد).-ع16؛ كانون الأول 2012.
- حسين حمادة، تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، ب.ط، بيروت 1987.
- حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن.- القاهرة: دار الفكر العربي، 1990.
- حنا الفاخوري، وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية.- بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1963.
- خلف أحمد محمود أبو زيد، "المكتبات منابع أصولنا الحضارية".- مجلة حراء (أسطنبول).- العدد(3) – السنة السابعة؛ (مارس – أبريل) 2012.
- خليقي خنفر، تاريخ الحضارة الإسلامية، الاعتصام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الخليل 1991.
- خليل بدوى، موسوعة العلماء والمخترعين، دار أسامة، الطبعة الأولى، عمان 1999.
- خوليان ريبيرا، "المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية"/ ترجمة: جمال محمود محرز.- مجلة معهد المخطوطات العربية. (ج1/ مج4/ مايو 1958).
- خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها المغربية/ ترجمة: الطاهر أحمد مكي.- القاهرة: دار المعارف، 1994.
- خير الدين الزركلي، الأعلام.- ط5.- بيروت: دار العلم للملايين، 1980. (ج2)
- داود عبد الملك يحيى الحدابي، "الإدارة التربوية العربية الإسلامية"/ ضمن موسوعة الإدارة العربية الإسلامية.- القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2004. (مج4).
- ربحي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية.- عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 1999.
- رضا سعيد مقبل، تاريخ المكتبات في الأندلس.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009.
- رينهرت دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام/ ترجمة: كامل كيلاني.- القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، 1933. ص47. فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية، (مج2).
- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، ب.ط، بيروت 1981.
- زهير حمدان، أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، المجلد الثاني، مكتبة الأسد، ب.ط، دمشق 1995.

- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب/ نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي.- بيروت: دار الآفاق العربية، 1982.
- سمير شيخاني ، صانعوا التاريخ، الجزء الأول، مؤسسة عز الدين للنشر، ب.ط، بيروت 1996.
- سمير عرابي، علوم الأدوية والصيدلة عند علماء العرب والمسلمين، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة1999؛ علوم الكيمياء والطبيعيات عند علماء العرب والمسلمين، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة 1999.
- السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة، ب.ط، بيروت 1986؛ المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثانية، القاهرة 1982.
- السيد عبد العزيز سالم، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مكتبة الأنجلو، ط2، القاهرة 1982.
- سيدة إسماعيل الكاشف، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مكتبة الخانجي، ب.ط، القاهرة 1976.
- شاكر خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، دار السلام، ب.ط، بغداد1979.
- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت 1987.
- شريف هزاع، "علم النفس في التراث الإسلامي".- مجلة الجسرة الثقافية.- العدد الخامس عشر.- قطر، 2003.
- شرين السيد عبده محمود، الاتصال الوثائقي في الأندلس (أطروحة ماجستير/ إشراف: حمدي عبد المنعم، السيد النشار).- الإسكندرية: كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، 2002.
- شعبان خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997.
- شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم، الشرق الأقصى.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997.
- الشيخ عبد الحي الكتاني، تاريخ المكتبات الإسلامية ومَنْ ألف في الكتب.- الرباط: المكتبة الحسنية، 2005.

- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم/ تحقيق عبد الجبار الزكار.- ط1.- دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1978.(ج2)
- صورية متاجر، علم الوثائق والوثائقيين في الأندلس ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين: دارسة توثيقية ببيلوغرافية (أطروحة دكتوراه/ إشراف: محمد صاحبي).- الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014.
- عابد سليمان المشوخي، "أثر العوامل البشرية في ضياع التراث العربي الإسلامي".- تراثيات (يصدرها مركز تحقيق التراث).- القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.- ع9 يناير 2007.
- عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقديمه، دار المعارف، الطبعة التاسعة، القاهرة 1996.
- عبد الرحمن حميده، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق 1984.
- عبد الستار عبد الحق الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1991.
- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي.- بيروت: دار الطليعة، 1997.
- عبد الفتاح مصطفى غنيمة، الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في نشأة مدارس الترجمة العالمية.- ط1.- القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 2007.
- عبد الله الحبشي، الكتاب في الحضارة.- الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1986.
- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو، الطبعة الخامسة، القاهرة 1986.
- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، ب. ط، القاهرة 2001.
- على عبد الله الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت 1985.
- علي عفيفي علي غازي، "حرق الكتب في التراث العربي الإسلامي".- مجلة أدب ونقد.- ع336، فبراير 2014.
- علي محمد الصلابي، المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار.- القاهرة: الأندلس الجديدة، 2009.
- عُمر فروخ، تاريخ الأدب العربي.- بيروت: دار العلم للملايين، 1982. (ج5).

- عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، ب.ط، بيروت 1977.
- العيدروس: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1985.
- العيدروس: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر.- بيروت: دار الكتب العلمية، 1985.
- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعتير، ب.د، ب.ط ، القاهرة 1969.
- الفتاح الشيخ يوسف، "نشأة المكتبة في الدولة الإسلامية ودورها في نشر العلم والحضارة".- دورية ركائز معرفية (السودان).- المجلد الأول - العدد الأول؛ ديسمبر 2013.
- فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين.- بيروت: منشورات وزارة التربية الوطنية، 1948.(مج1).
- قاسم البريسم، علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة.- ط1.- بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2005. (238 صفحة)
- قدري حافظ طوقان، العلوم عند العرب، دار إقرأ، ب.ط، ب.م، ب.ت.
- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس- منير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت 1948.
- كامل حمود، تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت 1990.
- ماهر عبد القادر محمد، التراث والحضارة، دار النهضة العربية، ب.ط، بيروت، ب.ت.
- محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المشرق، دار الثقافة، ب.ط، القاهرة 1991.
- محمد إبراهيم حسن محمد، القيادة الإدارية في المكتبات ومؤسسات المعلومات.- القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2010.
- محمد أبو زهـرة، "الفقيه الذي عالج الحب في رسالته الشهـيرة طوق الحمامة".- مجلة العربي.- العدد (57) ربيع أول1383هـ.- الكويت، أغسطس196.
- محمد الصادق عفيفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، ب.ط، القاهرة 1977.
- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين.- تطوان: معهد مولاي الحسن، 1949.

- محمد أمان، الكتب الإسلامية/ ترجمة وتعليق: سعد بن عبد الله الضبيعان.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1990.
- محمد جلال شرف؛ وعلي عبد المعطي محمد، خصائص الفكر السياسي في الإسلام وأهم نظرياته.- الإسكندرية: دار الجامعات المصرية، 1975.
- محمد جمال الدين الفندي، "تراث المسلمين في ميدان العلوم"، ضمن كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب.ط، القاهرة 1985.
- محمد راغب بن محمود الطباخ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.- حلب: المطبعة العلمية، 1925. (ج5).
- محمد عبد الحميد الحمد، حياة البيروني، دار المدى، الطبعة الأولى، دمشق 2000.
- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس.- القاهرة: دار الفكر العربي، 1982.
- محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر.- دمشق: مؤسسة الرسالة، 2001.
- محمد على محمد الجندي، تطبيق المنهج الرياضي في البحث العلمي عند علماء المسلمين، دار الوفاء، الطبعة الأولى، القاهرة 1990.
- محمد غريب جودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة القرآن، ب.ط، القاهرة 1998.
- محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.
- محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام.- القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.
- محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها.- بيروت: مؤسسة الرسالة، 1978.
- محمود إسماعيل، إخوان الصفا: رواد التنوير في الفكر العربي.- ط1.- المنصورة: عامر للطباعة والنشر، 1996.
- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: ج6/ الدولة العباسية.- بيروت: المكتب الإسلامي، 2000.(ج2)
- مريم سلامة كار، الترجمة في العصر العباسي: مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة/ ترجمة نجيب غزاوي.- ط1.- الأردن: منشورات وزارة الثقافة، 1998. (سلسلة دراسات أدبية عربية، 104 صفحة)

- مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب.- بيروت: دار العلم للملايين، 1974.
- مصطفى سيد أحمد صقر، نظرية الدولة عند الفارابي: دراسة تحليلية تأصيلية لفلسفة الفارابي السياسية. المنصورة: مكتبة الجلاء الجديدة، 1989.
- منصور محمد سرحان، المكتبات في العصور الإسلامية.- المنامة: مكتبة فخراوي، 1997.
- موسوعة الإدارة العربية الإسلامية.- القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2004. (المجلد الثاني).
- نادية حسني صقر، العلم ومناهج البحث في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة، ب.ط، القاهرة 1991.
- نوفل محمد نوري، "إتلاف الكتب في الحضارة العربية الإسلامية: دراسة تاريخية في أسبابها في العصر العباسي (132 – 656هـ)".- مجلة التربية والعلم (جامعة الموصل).- المجلد (17)، العدد (4)، 2010.
- هند عبد الرحمن آل عروان. الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات ومدى تطبيقها في الأقسام النسائية بمؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003.
- وسام منير عبد الرحمن، مصائر الكتب الإسلامية.- القاهرة: جامعة الأزهر، 2007. ص191. (أطروحة ماجستير)
- وسام منير عبد الرحمن، مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري (أطروحة ماجستير/ إشراف: محمود عباس حمودة).- القاهرة: كلية الدراسات الإنسانية- جامعة الأزهر، 2007.
- وفاء أحمد سعيد البياتي، "الكتب والمكتبات في الحضارة العربية والإسلامية".- مجلة البحوث والدراسات الاسلامية (ديوان الوقف السني – العراق).- المجلد (1)، الإصدار(23) سنة 2011.
- ول ديورانت، قصة الحضارة/ ترجمة: محمد بدران.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1949. (ج3).
- يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العرق والشام ومصر في العصر الوسيط/ ترجمه عن الفرنسية: نزار أباظة، محمد صبَاغ.- بيروت: دار الفكر المعاصر، 1991.
- يوسف فرحات، علماء العرب، تراد كسيم، الطبعة الأولى، جنيف 1986.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

- Arnold, Thomas (Editor), The Legacy of Islam.- London: Oxford Univ. Press, 1931.
- Carrion, Manuel, Spain libraries, in Encyclopedia of library and information science.- N.Y: Dekker, 1980. (Vol. 28)
- Covey, Stephen R., the 8th Habit: from Effectiveness to Greatness.- New York: Free Express, 2004.
- David W. Tschanz, "Hunayn bin Ishaq: The Great Translator".- Journal of the International Society for the History of Islamic Medicine (2003).
- Fred Rosner, "The Life of Moses Maimonides, a Prominent Medieval Physician".- The Einstein Journal of Biology and Medicine.- volume (19), No (3).-New York: Einstein College of Medicine of Yeshiva University, 2002.
- Kouzes, James M. & Posner, Barry Z., The Leadership Challenges.- San Francisco: Jossey - Bass, 2002.
- Mondy, R. and R. Premeaux., Management.- Boston, U.S.A.: Houghton Mifflin, 1995.
- Olga Pinto, "The libraries of Arabs during the time of Abbasids".- Islamic culture.- Vol.3 (April 1929).
- Robbins, P., Management.- New Jersey, U.S.A.: Englewood Cliffs, 1994.
- Stephens, Denise & Russell, Keith, Organizational Development and Leadership, Change, and the Future of Libraries. - Library Trends. - Vol. 53, No. 1 (Summer 2004).
- Thompson, Moslem libraries (Mediaeval).- Encyclopedia of library and information science. Vol. 30. (1983).
- Wijdan Ali, The Arab Contribution to Islamic Art: From the Seventh to the Fifteenth Century.- Cairo: American University in Cairo Press, 1999.
- David W. Tschanz, "A Short History of Islamic Pharmacy".- available in 25 June 2010 at: http://www.ishim.net/ishimj/3/03.pdf

رابعًا: الموسوعات

- أعلام ومفكرون: لمحات عن مشاهير العلماء والمفكرين في عصور الإسلام الذهبية/ تحرير حكيم محمد سعيد.- ط2.- عمان: الأكاديمية الإسلامية للعلوم، 2000.
- دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ب.م، 1998.
- محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين.- ط1.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.
- محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1993.
- معجم العالم الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1991.
- موريس شربل، موسوعة علماء الكيمياء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1991.
- موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المجلد الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1987.
- الموسوعة العربية العالمية/ رئيس التحرير أحمد مهدي الشويخات.- الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 2004. (الإصدار الرقمي)، وطبعة الرياض 1999.
- الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، الطبعة الثانية، القاهرة 2001.
- هيكل نعمة الله، الياس مليمة، موسوعة علماء الطب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1991.

من إصدارات
دار صفحات

1) **سلسلة كتب مقدسة 6 كتاب مورمون، دارسة مقارنة، د. منذر الحايك، 2017م.**

يُشكّل هذا الكتاب أساساً للعقائد والتشريع لطائفة المورمون، ويعدّونه سِفراً مقدساً، كُتب من قِبَل أنبياء قدماء. وهو يدوّن ما جرى بين مجموعتين من المهاجرين لأمريكا، جاءت إحداهما من أورشليم والأخرى من بابل، وبعد حروب وصراعات دامية، أفنوا بعضهم، ما عدا مجموعة، يفترض أنهم أجداد الهنود الأمريكيين. تقوم عقيدة المورمون على قناعة تامة بأنهم أتباع كنيسة مسيحية، تؤمن بالكتاب المقدس، وأن السيد المسيح ظهر في أرض أمريكا بعد قيامته، وهو مَنْ أوحى بكتاب مورمون لجوزيف سميث الذي هو نبي مثل النبي موسى؛ حيث استلم ألواحاً ووحياً ربانياً، وكُلّف بإستعادة العقيدة المسيحية التي تبدّلت. ومهما تكن آراؤنا حول المارمونية، ومهما تكن الحملات الموجّهة ضدّها، وخاصة من الكنائس المسيحية، فهذا لا يمنع من كونها واحدة من أسرع الديانات انتشاراً، فلها تواجدها القوي والموزّع على جغرافية العالم. وبما أنها تكتسب مزيداً من المؤمنين بها، ففيها - إذنْ - ما يلبّي الرغبات الروحية لعدد متزايد من الناس. وحتى إن لم نؤمن بها، فهي تستحق النظر بتراثها الديني، ودراسته؛ لأنه جزء من التراث الديني العالمي.

2) **تاريخ يوسيفوس - يوسف بن غريون، ترجمة زكريا بن سعيد اليمني - تحقيق د. منذر الحايك، 2017م.**

يعد "يوسف"، صاحب هذا التاريخ، من أشهر الشخصيات اليهودية، فقد كان قائداً عسكرياً في التمرد الكبير ضد روما، ولما هُزم حاول الاستسلام فرفض جنوده، ثم أجبروه على الانخراط في انتحار جماعي، فوافق ورتب طريقة ليقتلوا بعضهم بحيث بقي هو الأخير، فانضم للرومان وعاش بقية حياته في روما متفرغاً للتأليف، وغدا من أهم مبدعي الأدب اليهودي، فهو سليل الكهنة حاملي الثقافة اليهودية، كما أنه شاهد عيان للأحداث ومطّلع على الوثائق الرسمية، اضافة لإجادته الآراميّة لغة الثقافة في الشرق، وامتلاكه أسلوب تعبير جميل. ولكتابات يوسف مكانة هامّة ضمن الأدب العالمي، فهي المصدر الأساس للمعلومات عن فلسطين في زمن الهيكل الثاني، وهي مهمة لليهود لأنها تشكل الوجه التاريخيّ لروايات الكتاب المقدّس. كما هي مهمة للمسيحيين، لاحتوائها على الذكر الوحيد للمسيح خارج الأناجيل، حتى أن بعض الكنائس تعد تاريخه هذا واحداً من أسفار العهد القديم. كما قام كثير من المؤرخين المسلمين باستقاء المعلومات منه لتغطية أحداث ما قبل الإسلام.

3) **أثر الموالي في الحياة الفكرية خلال (41 ـ 132هـ)، أسماء عبد الله غني العزاوي، 2017م.**

4) **البصـرة الحيـاة العلميـة في العصر الأموي (41-132 هـ / 661 - 749 م)، سعدون عبد المنعم جميل الحديثي، 2017م.**

5) **بوابات العواصم والقصور الآشورية في ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة، عمار حسين مصطفى عبدالله، 2017م.**

6) **تاريخ أوروبا الحديث 1789-1914، د.عمار شاكر الدوري - د.حارث عبد الرحمن التكريتي، 2017م.**

7) **التمذهب الفلسفي في دولتي المرابطين والموحّدين، د.ياسين أحمد صالح الدليمي، 2017م.**

8) **خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، د.عمر إسماعيل أمين البرزنجي، 2017م.**

9) **دور لجان المراجعة في زيادة ثقة المستثمرين في التقارير المالية، محمد محمد مسلم درويش، 2017م.**

10) **الصيغة السببية في اللغة الأكدية دراسة صرفية دلالية مقارنة مع اللغة العربية، عبدالله علي محمد التميم، 2017م.**

11) **ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين (6-9)هـ/ (12-13م)، دحمور منصور، 2017م.**

12) **نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ ـ حسب نظرية بورس -، د. عايدة حوشي، 2017م.**

13) **الوفادات في العصر العباسي (132-334هـ/ 749-945م)، حسين خالد مصلح الجبوري، 2017م.**

14) **اليهود في المشرق الإسلامي دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية للحقبة (11-923هـ/632-1517م)، د.خضر إلياس جلو، 2017م**

15) **صانع المعجزات دراسة في أساليب فهم العلم لقضايا الدين والفلسفة، عادل عبد الله، 2016م.**

الكتاب عرض نقدي لصراع العلم والدين في المعجزة او فلنقل هو عرض لصراع العلماء والفلاسفة من الطرفين على المعجزة، إنطلاقا من المعنى الشامل لها، المعنى الذي توضّحه هذه العبارة : لئن كان البحث في مفهوم (الله) لا يفترضُ و لا يؤدي بالضرورة الى البحث في المعجزات، فإن البحثَ في مفهوم (المعجزة) يفترض و يؤدّي بالضرورة الى البحث في مفهوم (الله) و جميع المفاهيم الدينية الأخرى المصاحبة له كالدين و الأنبياء و غيرها .

16) **الأموريون الساميون الأوائل (التاريخ ، المثولوجيا ، الطقوس ، الفنون) خزعل الماجدي، 2016**

كان الآموريون هم الساميون الأوائل بامتياز فهم بذرة السامية الأبكر والأكبر والتي خرجت منها أغلب الشعوب السامية لاحقاً (باستثناء الأكديين والآشوريين) يشكل الأموريون ثم االكنعانيون والأراميون والكلدان والعرب مجموعات كبرى من الأقوام السامية التي ظهرت، بشكل أساسي في وادي الرافدين وبلاد الشام وكان لها امتدادات واسعة شملت الجزيرة العربية وحوض المتوسط وشمال أفريقيا.ونرى أن الأموريين هم أقدم وأضخم مجموعة سامية ظهرت على وجه التاريخ ونكاد، بسبب ذلك ، نفقد اثارها الأولى في المنطقة لظهورها قبل عصر الكتابة وربما قبل ظهور السومريين في جنوب وادي الرافدين الذين يعدون أصحاب أول حضارة تاريخية كبيرة فيه. ربما كان الأموريون هم أقوام العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) مع أقوام أخرى، وربما كانو هم أصحاب حضارة العبيد (التي سبقت الحضارة السومرية) وهذا إن صح، يشير إلى عراقتهم ورسوخ جذورهم في المنطقة بعد الثورة الزراعية في عصر النيوليت (العصر الحجري الحديث).

17) **قصة يوسف بين التوراة والقرآن الكريم، كريمة كطيبي، 2016م.**

تحتل القصص عموما، وقصص الأنبياء على وجه التحديد، مكانة متميزة في كل من التوراة والقرآن الكريم. وشكلت مادتها الخام خزانا لا ينضب يستمد منها المتعاملون معها أخبارا عن ماض لا نعرف عنه إلا النزر القليل. والمتعاملون مع هذه المادة الخام كُثر. وسيكون من غير المجدي حصرهم، الكتاب يتأرجح بسبب طبيعة موضوعه ما بين عالم السرديات والدراسات الأدبية والنقدية وعالم مقارنة الأديان ومناهج نقد التوراة ونقد الكتاب المقدس.

18) **دراسة في انجيل لوقا، علي زلماط، 2016م.**

وبعد تحرر شعوب العالم الغربي المسيحي من القبضة الكنسية، ظهرت عدت دراسات، اهتمت بالمجال الديني المسيحي أو اليهودي بالدراسة النقدية المبنية على الحجة والدليل. والتي توصلت جلها إن لم نقل كلها إلى التشكيك في العقائد الأساسية المكونة للديانة المسيحية، والدعوة إلى ضرورة تنقيح هذه الديانة بحذف ما لحقها من الإضافات، والعمل على تنقيحها وتطويرها حتى تلائم الفطرة الإنسانية السليمة. فنتج عن ذلك ظهور طبعات وترجمات عديدة للكتاب المقدس، يختلف بعضها عن بعض، فكلما تم اكتشاف أقدم مخطوط إلا وتمت إعادة النظر في الكتاب المقدس بالتنقيح والتهذيب. ومع ذلك تعمل الكنائس، عن عمد، على ترك الأخطاء التي توَصَّل الباحثون إليها، وبالأخص فيما يتعلق بالجانب العقدي..."

19) **الليلُ في القُرآنِ الكَريم - دراسةٌ جماليَّةٌ، د. سَعد جَرجيس سَعيد، 2016م.**

الليل عند الجاهليين كان مشحوَناً بالقَلق والخوف والوَحْشَة والاضطراب، كان في مخيلة الجاهلي أن الليل عالمٌ يموجُ بالجنِّ والأشباح، أما ليل القرآن الكريم فهو آناءٌ رخيَّةٌ للعبادة ومناجاة الله (ﷻ)، والتفكر في قدرته الباهرة وعلمه الواسع. إن القرآن الكريم قد وضع للمؤمنين جميعَ السبلِ التي تمكّنهم من التعامل مع الليل، وأعطاهم المفاتيح التي بها يدخلون إليه، فقد أرشدهم القرآنُ إلى آيات الليل، وفي الوقت نفسه علمهم كيف ينظرون إليها ويتدبرونها، كما علمهم كيف يجعلون من الليل آناء أنسٍ ومودة وخشوع.

لم يكتف القرآن الكريم بتصوير الليل من جهة واحدة، ولم يتحدث عنه على وفق زمن معين، وإنما اشتمل على تصوير الليل الكبير من جميع جهاته وفي جميع أوقاته، فلم تَغبْ جهةٌ ولا لحظةٌ من الليل عن التصوير القرآني، فلسنا نبالغ إذا قلنا: إنَّ الخطفة السريعة للشهاب المتَّقد، والومضة الخافتة من النجوم البعيدة، كانتا حاضرتين في تصوير القرآن الكريم.

20) **هارون الرشيد والدّسّ الشعوبي في سيرته، د. رشيد لطيف الحشماوي، 2016م.**

يعدّ الرشيد من الشخصيات المهمة التي حاول بعض الشعوبيين الدّسّ على هذه الشخصية الفذة، وبعد القضاء على البرامكة سنة 187هـ، اشتد الدّسّ ضده، وحاول الشعوبيون القضاء على المزايا الإيجابية للرشيد قدر المستطاع. لا يوجد دسّ لدى أغلب المؤرخين الأوائل ضد الخليفة هارون الرشيد وأفراد بيته، وأئمة الجرح والتعديل لم يجرّحوا الخليفة هارون الرشيد وأفراد بيته، على الرغم من أنهم رواة للحديث النبوي الشريف، هنالك تحامل متعمّد في كتاب التاريخ لليعقوبي وكتاب مروج الذهب للمسعودي وكتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبري على الخليفة هارون وأفراد بيته. هنالك تحامل وأخطاء شاسعة في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب للدنيوري على الخليفة هارون الرشيد وأفراد بيته، والذي لا تتعدى صفحة إلا وفيها أخطاء كثيرة.

21) **التدوين التاريخي (من سنة 1 هجرية إلى 400 هجرية) ، د. رشيد لطيف الحشماوي، 2016م.**

التاريخ العربي مًر بمرحلتين أساسيتين؛ أولهما التاريخ الشفهي الذي ظهرت بداياته منذ فترة طويلة قبل الإسلام، وكان يُحفَظ على الغيب، لا يُدوَن، أما المرحلة الثانية؛ فهي مرحلة التدوين التاريخي التحريري الذي قطع شوطاً طويلاً بين الشدّ والجذب، في تدوين الروايات التاريخية، ويمكن القول إن التدوين التاريخي ظهر - بصورة جلية - في بدايات القرن الثاني، للهجرة. ونستطع أن نقول إن التدوين التاريخي التحريري مرّ بثلاث حقب: الحقبة الأولى، وتبدأ في منتصف القرن الأول للهجرة. أما الحقبة الثانية، وهي تبدأ ما يقارب مطلع القرن الثاني. الحقبة الثالثة، وتبدأ ما يقارب من النصف الثاني من القرن الثاني.

22) **تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية، صفاء ذياب، 2016م.**

توجَّه البحث لدراسة العجيب، مستبعداً العجائبي والغريب. ففي السنوات الأخيرة، صدر أكثر من كتاب عن العجائبي، كما أن هناك رسائل وأطروحات أكاديمية بحثت في العجائبي في القصة والرواية، عراقياً وعربياً، إلا أن المؤلف ارتأى أن يدرس العجيب لأسباب عدة، أولاً لأن أغلب الدراسات والبحوث الأكاديمية بحثت كثيراً في العجائبي، وقدَّمت بحوثاً مهمة حوله، وثانياً لم تبحث هذه الدراسات في العجيب، على الرغم من استناد أغلبها؛ إن لم يكن جميعها، إلى كتاب تودوروف "مدخل إلى الأدب العجائبي" الذي يعدُّ العجيب والغريب جنسين موازيين للعجائبي. ثانياً إن العجائبي جنس متلاشٍ لا يمكن الإمساك به، مرتبط بلحظة الخوف والتردد والدهشة لدى المتلقي

23) **ملحمة كلكامش قراءة جديدة للمعاني الإنسانية في الملحمة، الأب يوسف نبيل جزاوي، 2016م.**

الجديدُ في هذه الدراسةِ هو، أولاً: إنَّ البطلَ الحقيقي للملحمة لم يكنْ كلكامشُ بل إنكيدو؛ إذ إنَّ حدثَ موتِ إنكيدو يُعَدُّ المحرِّكَ الاساسي في تبلور أحداثِ الملحمة، لا بل إنَّ موتَه يُعَدّ المادةَ التي تُبنى عليها الأحداثُ الدراميةُ، فلولا موتُ إنكيدو لما انكشفَ الوجهُ الآخر لكلكامشَ في سعيِه وبحثِه عن الخلود. ولولا إنكيدو لمَا أدركَ كلكامشُ قيمةَ الحياة وتعلقَه بها. ثانيًا: إنَّ إنسانَ كلكامشَ لم يُعنَ بالموت كما هو شائعٌ في مُعظم الدراسات والأبحاث، بل عُني بالحياة، وإذا كان شغلُه الشاغلُ هو مُعضلة الموت، وأهتم بأمره كثيرًا لأنه كان معنيًا بالحياة حدَّ الغرام. فخشيَ أنْ تضيعَ منه، فعمل المُستحيلَ من أجل الحفاظ عليها، لذا الملحمةُ لا تحتفي بالموت بل بالحياة والخلود. ثالثًا: إنَّ كلكامشَ إبنَ الرافدين، تعمّق لديه مفهومُ الإنسان وبرزتْ أهميةُ الآخر من خلال محنة موت الصديق. رابعًا: اكتشفَ كلكامش خلال تغرّبه قيمةَ الأرض وأهميةَ الوطنِ في مرافئ الغُربة، فقرّر أن يكونَ خالدًا في ذاكرةِ شعبِه، متّخذًا من أوروك موطنًا لخلوده.

24) **الشعر الأيروتيكيّ النسويّ الشفاهيّ في العالم العربيّ (تأصيل ونصوص)، شاكر لعيبي، 2016م.**

فجأة حضرتْ الفكرة: إزاء هذا الكمّ الكبير من الكتابة النسائيّة العربية المحايثة، الساعية سعياً متعمَّداً، إلى استحضار اللذة والجسد من دون استبطان من نوع آخر، وهذا الشعر الذي سُمّي، على عجالة، بالأيروتيكي، المكتفي بالأفقيّ الخطيّ دون العموديّ العميق، ثمة لدينا في الثقافة العربية المهمّشة، الشعبيّة، أدبٌ نسائيّ أيروتيكيّ أيضاً. سمعنا مقطوعة نسويّة تونسيّة، مُقفاة، مُغنّاة في عُرْس شعبيّ في مدينة قابس، جنوب تونس، تستحضر تلك اللذة العُرْسيّة، اللذة التي كانت المحتفلات يحتفين بها بصوت مُجَلْجل، فانبثقت المقارَبة في ذهننا بين أدبين: نسويّ حداثيّ يزعم المعرفة والاختراق، متشابه للغاية، ومن دون غاية أحياناً سوى استفزاز مجتمع ذكوريٍّ، يكفي مجرد استفزازه لكي يهتز جذلاً، وأدب مهمَّش، غير معترف به غالباً إلا لدى الباحثين الفلكلوريين، منطو على إشارات دالة وبريئة إلى درجة الطهر، رغم كميّة اللذة والتصريح الفاحش في بعضها، المتبقية رغم ذلك من البراءة بمكان. استحضرنا، في تلك اللحظة عينها، أبياتاً شعبية، كنا نسمعها من سيّدات بيوتنا في العراق لا تقلّ حسيّة وأيروتيكية عما كنا نسمع في الجنوب التونسيّ. وفي احتكامنا المُسْتعجَل، في تلك اللحظة البارقة، لمفهوم (الشعرية) التي طالما شغلت أذهننا في النصف الثاني من القرن العشرين في العالم العربي، خُيَّل لنا أننا أمام (شاعريّة) لا شك فيها. بل أننا ونحن نستعيد الأبيات الشعبية التي ترددها نساء العراق وتونس كنا نقفُ أمام استعاراتٍ تذهب للعميق في الوجود الإنسانيّ.

25) **إشكالية الطائفية في الفِكر العَرَبي المُعَاصِر "آليات الخروج الأمِن للعَرَبَ منْ نفق التطرّف"، حُسّام كصّاي، 2016م.**

نسعى أنْ نوصل رسالتنا الإنسانية لأكبر عدد من القُراء والمتلقين والمثقفين العرب لإعلان حملة وقوف ضد الطائفية: فلا وحدة ناهضة للعرب إنْ لم نتوّحد سُنة وشيَّعة في وجهة المخططات الغربية الكولونيالية، نحن من هنا ندعو إلى التّسامح، والتوّحد، والأصطفاف الوطني، والعودة لعهد الدولة القومية التي قُتلت في العام 1967، التي تلوّثت بدم القبيلة وحكم الأسرة وتسلط "الأب الضرورة" وقمعه للحريات واستلابه للحقوق، ندعو للمصالحة مع الذات، والنظر بعين الإنسانية والوعي العربي والتعويل على العنصر العربي (العامل القومي) في بناء الدولة العربية المعاصرة في كل الأقطار، فالدولة القومية هي الوحيدة القادرة على لم شمل العرب دون استثناء، مع قدرتها على حفظ حقوق وكرامة الأقوام الأخرى، لأننا نسعى وندعو لعروبة انسانية أبنة البيت الإسلامي الذي لم يُكره أحد على ترك أو اعتناق دينه، إنْ الأمر يتطلب منا الدعوة لتيار قومي ديني عريض قوامه العروبة والإسلام من أجل هيكلة الطائفية وتفكيك خطابها، وعزْل دُعاتها وغلق مساجدها (مساجد ضرار) التي تُطبل للفتنْة والشّقاق والنفاق والضغينة، التي تبني سيّاجاً للطائفة بعيداً عن سور الوطن، وتؤسس لهوية ضيقة تتجاهل في الهوية الأم للعرب والمسلمين، ومن هنا جاءت دراستنا (أو بالاحرى رسالتنا الإنسانية والمعرفية) لتتناول إشكالية الطائفية في الفكر العربي المعاصر وآليات الخروج الأمن للعرب من ذلك النفق المظلم، والمفتوحة خياراته إلى مزيد من العنف والإرهاب والفوضى والتجزئة والتفكك، وتقسيم المقسم وتجزئه المُجزئ.

26) **الاتصال البصري في الفن والإعلام،د. نمير قاسم خلف - رباب كريم كيطان، 2016م**

إن مفهوم الاتصال البصري (Visual Communication) ، كأحد أنواع الاتصال الجماهيري ، جاء ليعبّر عن مفهوم اتصال متخصص، عن طريق تقديم المعلومات، من خلال وسيط بصري ، وبطرق عديدة، لتقديم المعلومات بصرياً للجمهور المتلقي لهذا الاتصال ، مثال ذلك الإشارات والرموز والدلالات والصور، والتي تدخل ضمن مجال الفنون البصرية، بكافة أنواعها ، والوسائل البصرية المرئية والمقروءة، مثال ذلك أجهزة العرض ، التليفزيون ، المواقع الإلكترونية ،الدعايات واللافتات والإعلانات ، أو أي وسيلة من الوسائل التي

تعتمد حاسة النظر في تفسيرها، وتدخل ضمن مجال الإعلام البصري. وبذلك يمكن القول بأن الاتصال البصري هو مصطلح يطلق على العلاقة التي تنشأ بين كل ما هو مرئى وبين الإنسان ، من خلال القدرة على توصيل رسالة أو فكرة على شكل صورة بصرية ، وفي عالمنا الحالي، أصبحت مهارات الاتصال البصري ضرورة مهنية، سواء كان ذلك في الفنون أم في الإعلام .

27) معجم الألفاظ النفسية والاجتماعية في القرآن الكريم، (المتغيرات النفسية والاجتماعية، سمات الشخصية،النمو والارتقاء، الجسم البشري،الجماعات والمجتمعات البشرية) د.علي شاكر الفتلاوي، 2016م.

يستطيع الباحث والقارئ والمهتم أن ينصرف إلى القرآن الكريم، لا بوصفه كتاب تعاليم وشرائع ودعوة حسب ، بل بوصفه سبل حياة، تنطوي على قواعد مبدئية وقوانين حياتية، تنتظم فيه وخلاله الحقائق الفاعلة والنظم الواقعية التي تضبط في ضوئها حركة الفرد والمجتمع ؛ لينفتح على ذخيرة لامتناهية من الرؤى المتسعة للعالم، بوصفها مرتكزات معرفية إدراكية واعية، تشرح النفس البشرية - ظاهرها وباطنها - وتفصّل في دوافعها وحركتها . فالقرآن الكريم مصدر أول للغوص في الفهم الحقيقي للشخصية الإنسانية ، فهماً يتجسد بمفاهيم ومتغيرات وظواهر، توحّدها صلة منطقية، يكتشف منها ترابطاً علائقياً وسببياً، في آن واحد ، يتيح لها إنتاج معرفة بديهية مثمرة عن السلوك البشري، بلغة الحقائق العلمية ومسلّماتها .

28) سلسلة كتب مقدسة 1 الـزبـور - مزامـير داود - دراسة مُـقـارنة، د.منذر الحايك، 2016م.

تُعدّ المزامير أكثر الأسفار قراءة من قِبل اليهود والمسيحيين، أما المسلمون؛ فمع إيمانهم بأنبياء بني إسرائيل وكتبهم، إلا أنهم ابتعدوا عن تراثهم الديني، بدعوى تَحريفه. وكما أن للمزامير تفاسيرها اليهودية التي لا تعترف بالمسيح، فلها - أيضاً - تفاسيرها المسيحية التي تؤولها، للتبشير، بقدوم المسيح. ومع أن المزامير تبدو كلام إنسان هو داود، أو غيره من أنبياء بني إسرائيل، لكن الشروحات الكنسية تقول بأن الله هو الذي كان يوحي لهم ما يتكلمون به.

والزبور هو المرادف الإسلامي للمزامير، وقد ذكره القرآن كتاباً مُنزلاً على داود الذي حظي بدور بارز في القرآن، كما في المزامير، وكلا الكتابين يذكران مشاركة الجبال والطيور الترتيل مع داود. ومع أن المزامير كانت نتاج مجتمع محارب، له ربّ خاص به، لكنها تبقى نصاً أدبياً وإبداعاً إنسانياً، بكل ما في الانسانية من خير أو شر. وتأتي هذه الدراسة غير التقليدية دعوة للاطلاع على سِفْر خالد، شغل - ولا يزال يشغل - أعداداً كبيرة، من القرّاء والدارسين المؤمنين به، وغير المؤمنين

29) سلسلة كتب مقدسة 2 كـنـزا ربّا ،"الكنز العظيم"، الكتاب المقدّس للمندائيين، دراسة مقارنة، د.منذر الحايك، 2016مَ.

تُقرّ معظم الدراسات المقارنة بوحدة قيم وأهداف الأديان، فجميعها ترجو خير الإنسان، وراحة نفسه، ومع اختلافها، فمعظمها واحد بالجوهر الذي هو الإيمان بوجود خالق أعظم، ومن هذه الديانات، وربما أقدمها "المندائية" التي لم تخرج بشيء عن عالم الأديان السماوية، بل تمثل حالة فريدة من التقارب معها، تأتي هذه الدراسة، من وجهة نظر علمية موضوعية وغير تقليدية، لتقرير وضع المندائية بين الأديان الشرق أوسطية، بشكل عام، والسماوية، بشكل خاص، ولتبيّن مدى تقاربها في التشريعات والفروض والأحكام. فالمندائية ديانة موحِّدة، بالتأكيد، تعتقد بأنها على ملّة آدم، وأن يحيى نبيّها، وأن كتابها يضمّها إلى ديانات أهل الكتاب. وهي بمثابة دعوة لقراءة "كنزا ربّا"، فهو أثر ديني إنساني، بغاية الشفافية، يخاطب النفس البشرية، ويروي قصتها، ويتيح الفرصة للمهتمين، لقراءته، والتمعّن بروحانيات أقدم تراث، يتبع الآباء الأولين للبشرية، ويعطينا فكرة عن أقدم أنماط التفكير الديني.

30) سلسلة كتب مقدسة 3 الكتاب الأقدس، دراسة مقارنة، د.منذر الحايك، 2016م.

تعد البهائية من أهم الظواهر الدينية التي نشأت في العصر الحديث، ومع ذلك لا يزال يصاحبها كثير من الغموض لدى عدد كبير من الناس، حيث تتولد لديهم أسئلة عديدة، منها: هل البهاء إله أو رسول في ديانته؟ ماهو دور التصوف الشيعي في نشأة البابية؟ وكيف تحولت البابية إلى بهائية؟ إضافة إلى مواضيع: الصراعات على خلافة الباب والبهاء، الفرق البهائية الجديدة، علاقة البهائية بالإسلام، والحروف وقيمها المقدسة في البهائية، وقد حاول هذا الكتاب الإجابة عنها مع تحليل لهذه الوقائع ومنعكساتها بمنهج علمي نقدي مقارن.

وبما أن الأقدس هو أحدث كتاب مقدس في العالم فإن الاطلاع على نصوصه سيتيح الفرصة لكل مهتم وباحث عن الحقيقة للتفكير

بمقارنات ودراسات تحليلية بينه وبين الكتب المقدسة القديمة، والتي أرجو أن يكون هذا العمل مفتاحاً ومحرضاً لها، فمع القيمة الدينية والتاريخية الكبيرة لنصوص الأقدس فهي أيضاً تزودنا بفكرة عن واحد من أحدث أنماط التفكير الديني للبشرية.

31) سلسلة كتب مقدسة 4 أنجيل برنابا، دراسة مقارنة، د.منذر الحايك، 2016م.

مع أن الكنائس المسيحية لا تعترف بإنجيل برنابا، لكنه الكتاب الأكثر إثارة للجدل منذ وجوده، والأكثر انقساماً، بالمواقف حوله، فالمختلفون فيه إما رافض بالكلية، أو أنه يعدّه حقيقة مطلقة. وبالتأكيد؛ فإن وراء ذلك ما يراه الرافضون من أنه يهدم قانون الإيمان المسيحي، ويراه المؤيدون مؤكداً، لوجهة نظر الإسلام.

فأين إنجيل برنابا من كل ذلك؟ حدّد برنابا دوافعه لكتابة إنجيله، بأنه أراد تصحيح أمور جسيمة، طرأت على العقيدة، وأنه كُتب، بطلب من السيد المسيح. لكن الأمر يتعقّد عندما نعرف أن برنابا التاريخي الرسول والمبشّر لم يلتق، بالمسيح، بل تبع الرسل. لذلك هو مختلف تماماً عن برنابا الإنجيلي، التلميذ المقرّب من المسيح، هذا التناقض يبرّر التساؤل إن كان هو كاتب الإنجيل فعلاً؟ أم مصطفى العرندي اليهودي الإسباني؟ إن تفحّص مخطوطات الإنجيل سيبيّن أصالته من زيفه، والأهم من ذلك، نقد نصوصه ومصادره ومدى تلاقيها، أو اختلافها، مع التوراة والأناجيل القانونية، ومن ثم؛ مع القرآن الكريم. بعد كل ذلك، سيكون بإمكاننا الجواب عن السؤال الذي يطرحه هذا الكتاب: هل من مصلحة المسلمين فعلاً تبنّي إنجيل برنابا؟

32) سلسلة كتب مقدسة 5 التوراة السامرية، دراسة مقارنة، د.منذر الحايك، 2016م.

تعد السامرية ديانة توحيدية تؤمن بالبعث والحساب، وبموسى نبياً وبأسفاره كتاباً لها. ويعتقد السامريون بأن ديانتهم الأقرب إلى الإسلام وأنهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلونْ﴾. ويقولون بأنهم وفدوا على النبي محمد، وحصلوا منه على عهد خطه لهم علي بن أبي طالب، ويؤكد السامريون: أنهم السلالة الحقيقية لشعب إسرائيل، وأنهم يملكون أقدم نسخة خطية للتوراة، لكن اليهود يعدونهم أغراب عن بني إسرائيل وأن معتقداتهم وثنية وتوراتهم غير صحيحة. بينما يعتقد الباحثون بأن التوراتين هما كتاب واحد كتبه عزرا وأن الخلافات اللاحقة باعدت بينهما. ولكن لا تزال معظم الاختلافات بين التوراة السامرية واليهودية شكلية بالغالب. وتتهم الدراسات الكنسية واليهودية النص السامري المترجم للعربية بأنه ترجمة إسلامية، ولكن في الحقيقة ليس كذلك، فقد تكون الترجمة متأثرة بثقافة وتعابير المترجم الذي عاش في وسط عربي إسلامي، وقد يكون المترجم حاول تقريب التوراة لأفهام المسلمين، ولكنه بالتأكيد لم يحاول التقرّب للمسلمين على حساب كتابه المقدس.

33) القراخانيون، دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية (315 - 607هـ/927 - 1210م)، أ.د. سعاد هادي حسن إرحيم الطائي، 2016م.

تعد قبيلة القراخانيين إحدى هذه القبائل التركية التي لم تخط بدراسات تاريخية شاملة، نظراً لندرة المصادر التي تحدثت عنها. تناولت في دراستي هذه الأصول التاريخية للقراخانيين، ومناطق استقرارهم، وأهم المدن التي استقروا فيها. وأشرت إلى لغتهم وألقاب أمرائهم ومدلولاتها السياسية، وتناولت - بشكل مفصل - أهم الديانات التي اعتنقوها، وكان آخرها الدين الإسلامي ،وأشرت إلى دورهم في نشره بين القبائل التركية وكفاحهم الطويل في محاربة الكفار من القبائل التركية. وتناولت - أيضاً - اهتمام الأمراء القراخانيين بالبناء والعمران،وعلاقتهم مع الخلافة العباسية وتطورها، إذ تميزت باستقرارها مع تبادل الرسل والوفود، ومنحهم الألقاب الفخمة .

وعرجت على أهم ما حققه الأمراء القراخانيين من إنجازات سياسية وعسكرية عبر المراحل التاريخية لإمارتهم، من خلال الإشارة إلى علاقاتهم السياسية مع الإمارات الإسلامية المجاورة والمعاصرة لها في تلك المرحلة التاريخية ، وأهم ما تمخّض عن هذه العلاقات من نتائج سياسية وعسكرية،مع الإشارة إلى أهم السفارات المتبادلة بينهم.

وتناولت - أيضاً - أهم الملامح الرئيسة لتطور الحياة العلمية في عهدهم، ولاسيما في بلاد ما وراء النهر ، التي تضمنت تطور علوم مختلفة، الإنسانية منها، والعقلية؛ مثل علوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم وتفسيره وعلوم الحديث النبوي الشريف والتاريخ والرياضيات والفلك والهندسة والطب وعلوم السياسة والأخلاق وغيرها ، وقد توضح هذا التطور العلمي من خلال اهتمام عدد من أمراء الإمارة القراخانية بالعلم والعلماء .

النهضة العربية الإسلامية

في العصور الوسطى

يقوم تاريخ العصور الوسطى على عدة ظواهر تاريخية، من أهمها ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، واعتناق العرب الإسلام، والتوسع العربي الإسلامي الكبير منذ القرن السابع الميلادي. حيث خرج العرب المسلمون من شبه الجزيرة وأنشأوا حضارة جديدة هي أبهى حضارات العالم في العصور الوسطى، لها طابعها الخاص، هو طابع الإسلام واللغة العربية، وهذه الحضارة الإسلامية التي بلغت أوج كمالها في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) هي التي جعلت العصور الوسطى عصورًا مضيئة.

فقد حقق المجتمع العربي الإسلامي - بمختلف مكوناته الطبقية والعرقية والدينية - ازدهارًا اقتصاديًا، وقطع أشواطًا متقدمة في الإبداع على كافة المستويات. فحمل العرب والمسلمون في العصور الوسطى منار العلم والثقافة والصناعة طيلة قرون عديدة في الوقت الذي كانت فيه الأمم المعاصرة ترزح تحت نير الجهل والتأخر، وفي الوقت الذي كانت تعقد فيه المناظرات العلمية والفلسفية على مستوى عالٍ في المساجد الإسلامية، وحلقات الدروس ومنازل العلماء والمدارس العديدة، كانت الأمية تسود أوربا كلها.

وفي هذا الكتاب مجموعة من الدراسات المتخصصة التي تبرز اسهامات النهضة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، ثم ما حدث لها من انتكاسات داخلية وخارجية أصابتها في مقتل، حيث يجد القارئ استعراضًا لجوانب تألق الحضارة الإسلامية مع الوقوف على أبرز مظاهرها الفكرية في انتشار المكتبات الشخصية في الأندلس. بالإضافة إلى بحوثًا عن علماء هذه الحضارة الذين أضاءوا جنبات العالم، تناولت القيادة الإدارية في فكر الفارابي، والمنهج العلمي عند البيروني، وصولاً إلى الانتكاسات متمثلة في الغزو المغولي كصفحة دموية في تاريخ الحضارة الإسلامية، وانتهاءً بالتراث العربي المخطوط الضائع.





www.darsafahat.com


ISBN 978-9933-495-99-2
9 789933 495992

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح